

مدينة نجوان

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

قصص حكايات

الفوارس

١٨

جمال شاهين

٢٠١٣

مدينة

نجوان

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

قصص وحكايات الفوارس

جمال شاهين

مدينة نجوان


مدينة الحيوان

حزن نجوان

ملك مدينة نجوان له أكثر من عشرين يوما معتكفا حزينا في قصر نومه لا يخرج إلى ديوان الحكم ، وتنوب عنه ابنته الأميرة هند التي دون العشرين سنة من عمرها ، فتذهب لدار الحكم كل صباح حتى ظهر النهار ، ثم تعود للقصر الملكي الخاص بالملك هشام .

فالحزن والأسى يخيمان على البلاد والعباد منذ عشرين يوما ، والسبب أن الابن الوحيد للملك قد اغتيل ، لم يقتل في معركة أو في صيد وحش ؛ إنما قتل غيلة وغدرا في القصر ، ومن قبل ابن عمه ، قتله الأمير حفص وغلامه عفريت ، كان يسهر مع إحدى نسائه ، عندما تسلل الغادرون للقصر ونالوا منه .

كانت الجريمة صدمة كبيرة لأهل المدينة كلهم السادة والرعية ، فهو ولي عهد الملك ، وليس له سواه والبنت هند ، ومع هدر الأمير هاشم شقيق الملك دم ابنه حفص لجميع أهل المدينة سادة وشعب ، ووضع الرجل جائزة مالية لمن يأت به ، حيا أو ميتا فلليوم لم يقبض عليه ولا على شركائه ، فإن الحزن يخيم على البلاد لهذه الفاجعة النادرة في العائلة الحاكمة ، ورغم ديمومة الحياة فالقصر الملكي مصاب بالكآبة والبكاء ، لقد كان الصراع ناشبا بين الشابين أسد وحفص وظاهرا للعيان ؛ ولكن لم يخطر ببال أحدهم أن الأمور ستتطور للقتل وسفح الدم ، وأن حفصا في النهاية سيقبل الهزيمة ، ويبحث عن حسناء أخرى .

مضت العشرون يوما دون أن يعرف مكان احتباس القتلة .. فأشيع أنه يختفي داخل البلاد ، ورجح بعضهم أنه خارج المدينة ، ولم يتطوع أحد للبحث عنه ، ولو تعاطفا مع الملك وابنته التي تجلس على حكم البلاد هذه الأيام ، فهو ابن أخ الملك ، أمير ابن أمير ، والملك نفسه لم يحرك ساكنا للبحث .. لزم الصمت والاعتزال ؛ كأنه مذهول من هول الصدمة بل مذهول للغاية الموقف حساس ومحزن ومحرج .

وسبب هذه الجريمة المعلن أن حفصا الأمير ذو الخمسة والعشرين ربيعا ، والذي يكبر ولي العهد بثلاث سنوات خاض معه صراعا من أجل فتاة شابة اسمها برة .. وهي بنت عم لكليهما .

حفص ليس بكر أبيه ، إنما واحد من عدد من الأخوة لهاشم العامر ، وهو فارس ماكر مخادع ، وعرف في ذلك بطول البلاد وعرضها ، فسيرته سيئة بين الأمراء والعامة ، ومن سوء أخلاقه أنه إذا قابل حسناء واستحسنها سعى إلى نكاحها مهما كلف الخطب ، وغالبا ما يفوز بمبتغاه ويطلق السابقة دون تردد أو يجمع بينهما لحين أن يضيف جديدة لبيته وحياته النسوية التقى بابنة عمه هشيم على غير العادة ؛ لأنه من النادر لقاء الحرائر والجلوس معهن في مدينة نجوان إلا لضرورة وحاجة ملحة أو صدفة ، حتى ولو كانت قريبة .. كانت برة فائقة الحسن والجمال ، فوقف مبهورا أمامها .. فقد كانت فتنة من مفاتن الدنيا ، كان يوما في مهمة لأبيه في قصر عمه هشيم ورأها فبهر بها ، فسأل عنها ، فاعلم أنها ابنة عمه ، فزاد تعلقه بها وهام بوصلها والزواج منها كما تعود ، فسعى لدى عمه هشيم بذلك ، فزعم عمه أنها صغيرة ابنة ثلاثة عشر عاما صغيرة على معاشرة الرجال والزواج ، لم يكف عنها فجعل يطاردها ، ويكثر من اختلاق الحجج والدواعي لزيارة القصر ليحظى بنظرة أو مقابلة ، لم يقبل الشاب العذر ، وتدخل والده هاشم وحرّج عليه من الإساءة إلى عمه هشيم ، وأن يصرف نظرا عن ابنته ، ورفض خطبتها له لمَ يعلم من كثرة زواجه وطلاقه ، فهو بعد أن يمتلكها ، ويقضي لبانته منها سيبحث عن غيرها ويهجرها إن لم يطلقها ، ولم يقتنع بأيمانه بقضاء العمر معها .. وأنه لن يعمل معها كما فعل في الأخريات فقال الأب لنفسه : من تعود على شيء صعب عليه الانخلاع عنه ..

وقدر أن يرى ولي العهد الأمير أسد الفتاة الناضجة حديثاً ، ووقعت من نفسه الموقع الحسن كما وقعت من نفس ابن عمه حفص .. وطلبها الملك من أخيه زوجة لابنه فوافق الأمير هشيم ونكحها الشاب ، ولم يعبأ بتهديد حفص ، وأنه هويها قبله ، وسخر أسد منه ، ولم يصدق أن والدها أكرهها على الزواج منه ..وكيف تزوج أميرة بالإكراه ؟!

وسكنت الأميرة في قصر الملك كزوجة لولي العهد ، ولم تكن الزوجة الأولى ، بل الثالثة وذات ليلة ـ بينما كان الأمير يسهر مع زوجته برة في إحدى الخمائل في البستان الملكي ، وفي مجلسه الغلمان والجواري يطربون أو يطربون الأمير وحليلته .. وبين أيديهم الفاكهة والنقل والأشياء

ـ دخل فجأة عليهم الأمير حفص وخادمه عفريت ، وكان قد دخل خلسة للقصر وصاح فيه : تزوجتها أيها الأمير غصبا عني .

الأمير دهش وذعر لدخوله عليه خلوته ، فنهض قائما ـ وتوقف العزف والغناء ـ وصاح: لم تعد تستحي أيها الأمير .. تدخل علينا بدون إذن .. دخول اللصوص .. اخرج لا أريد أن أرى وجهك ثانية .

وقبل أن يدرك أحد خطر الموقف ، قال حفص بغضب وسخط: نعم ، لن ترى وجهي .. فمت لعنة الله عليك . وأطاح بالسيف رأسه عن منكبيه ، وصاحت النساء والغلمان ، وحاول خطف الأميرة برة ؛ لكنها هربت تصيح ، وفزع الحرس على الصياح ، وهرب الأمير والخادم قبل وصولهم لخيمة الأمير ، وكان هربهم جهة غابة قريبة من القصر ، ولما وصل الحرس للخميلة كان حفص خارج القصر بتسلق الأشجار والاختفاء .

وحضر الملك والملكة وقيم القصر ، ورأوا الرأس المفصول عن الجسد فأغشي عليهما ، ولما أفاقا كانت المدينة في حالة هياج وصياح وحداد وبكاء ، ونكست الرايات وعم الحداد المدينة وكانت من أسوأ الأيام التي مرت بمدينة نجوان وأهل القصر الملكي خاصة .. كانت جريمة اغتيال مروعة .. وأعلن والد حفص المكافأة على رأس ابنه ؛ ليخفف من حدة الصدمة التي صدمت الناس وخاصة أسرة الملك ؛ وليبرأ من التهمة التي شاعت بتآمرهم على الملك ، وشيع ابن الملك قبل القبض على حفص وعفريت ، وهو الولد الوحيد للملك ، وبقيت الأميرة هند .

ولما انتهى العزاء بعد الدفن ، ذبحت الأنعام عن روح الميت ، واعتكف الملك في قصره مذهولا مصدوما باكيا .. والأمراء والقادة أدركوا هول الكارثة التي حلت على الملك هشام وعمق الجرح .. فالمقتول ابنه الوحيد ولي العهد ، والقاتل ابن شقيقه ، فحتى الأمير هاشم لزم البيت من الأسف والغيظ

فهذا سبب الحزن القائم في مدينة نجوان ، وهذا سبب ذهاب الأميرة للجلوس في ديوان الحكم مع الأمراء والوزير والفرسان ، فقد أضحت ولي العهد للمدينة البحرية ، وما زالت الأميرة

دون ذات بعل رغم بلوغها العشرين سنة ، رفضت كل الخطاب ، ورغبت أن تبقى عذراء ، ولم تجد الزوج المناسب ، وسكت والدها وتركها على رغبتها لتعلقه بها ، وتأثرت هي بالغدر والخيانة التي أصيبت بها الأسرة الملكية في نجوان .. وتنتظر اليوم الذي سيقدم ابن عمها للجلاد والسياف ليقطع رأسه أو يؤتى برأسه للمدينة ليصلب أمام العامة قبل حرقه .



العزلة الملكية

مضى على الجريمة الملكية أكثر من عشرين ليلة ، ولم يقدم القاتل للعدالة والقصاص ، ولما التقى الوزير الأكبر بالملك هشام ، قال له: افكر أيها الوزير بعد هذه الطعنة النجلاء بنقل الملك للأميرة هند ؛ لتكون الملك على البلاد والعباد .. لقد هدتني وحطمتني الضربة الماكرة .. إنه حادث مفجع ومشهد رهيب ؛ كأنه جلاد يقطع رأس مجرم .. وأبناء الأمير تحت الخامسة لا يصلحون للحكم

التفت الوزير عنان للأميرة الجالسة معهم والتي تشرف على إدارة الديوان منذ اعتكاف الملك في قصر النساء وقال: ما تقول أميرتا الشجاعة؟!

قالت: أيها الملك فلتبق ملكا وسيدا حتى يؤتى برأس القاتل الغادر الخائن ، وبعد هلاكه قد أقبل بالتربع على عرش البلاد .. لديّ اقتراح أرجو أن تقبلا به

قال الوزير: نعم ، ما هو يا مولاتي .. تكلمي

قالت : لن تهدأ المدينة والنفوس قبل القصاص من الغادر ومن عاونه من داخل القصر ومن خارجه .. هناك أشخاص تعاونوا معه وهيئوا لهم الدرب ليصلوا لخيمة سهر الأمير .. من هم المتعاونون؟ ومدى تعاونهم معه .. أليس كذلك يا سيدي الوزير؟!

صمت الوزير ، ولم يرد ، ولما رأى الأميرة صامتة لا تتكلم ، ولم تجب على نفسها قال: بحث قائد الحرس هذا الأمر مع الخدم والحرس .

ـ المتورط لا يكشف نفسه بسهولة .. نحن علينا أن نصل إليهم .. لقد اختفت جارية بعد الحادث ، ثم وجدت مقتولة في إحدى غابات أطراف المدينة ، لم نعرف لماذا تركت القصر ؟! هل خرجت من نفسها أم استدرجت أم لها دور ؟

ـ إحدى الجواري قالت إنها خرجت للسوق أو هكذا أشعرت الجواري .. والجواري كما تعلمين يسمح لهن بالخروج للشراء للملكة والأميرات دون تحرز .. والأمير حفص تبين لنا أنه استعان بسلم وتسلل للقصر .. وسهر الأمير ونساؤه معروفا للأمير حفص وغيره من الأمراء .

- أين الحرس في تلك الجهة من السور؟!

قال : الحرس في حالة استرخاء تلك الساعة أيها الأميرة .. يصيبهم ما يصيب البشر من الملل والضجر ..فلم يحدث من قبل أي تسلل إلى القصر .. ولما سمعوا الصراخ تركوا حجراتهم وهرعوا مسرعين .

- أنت ترى أنه لم يكن تواطؤ من الداخل

- مولاتي لا استطيع تأكيد ذلك .. فشقيقات الملك والأميرات يترددن على القصر وعليك وعلى الملكة .. فنقل حركات الأمير سهلة للمتآمر .. وحفص الغادر يعرف حدائق القصر وخمائل جلوس الملك والأمير ..وهو ابن عمكم

قالت: على كل حال الأيام ستكشف كل الخائنين القتلة ودور كل منهم

قال الوزير : أكيد ستتكلم الأفواه ، وتنطلق بالحكايات .. كانت هناك مؤامرة لا نشك في ذلك لم تتحدثي عن الاقتراح

- نعم ، الاقتراح سيدي الوزير الاقتراح بعد فشل الوصول للهاربين منذ أكثر من عشرين يوما ، وكذلك لم نسمع من فرسان وبحارة نجوان الاهتمام بالبحث عن الغادر فاقترح أن من يأتينا برأسيهما أو رأس حفص أن يكون زوجا لي ، زوجا للأميرة هند بنت هشام

دهش الوزير لهذا الاقتراح الخطير: هذا أمر صعب أيتها الأميرة ! أتقبلين أن تكوني زوجة لأحد السوقة من المدينة

- إذا أتى برأس حفص فهو خير من الكثير من الفرسان والبحارة .. فهو يستحق أن يكون من أمراء وكبراء المدينة .. نحن لن تهدأ نفوسنا أيها الوزير إلا بالثأر والقصاص .. والمال لم يجدِ مع الفرسان .. فلعل مصاهرة الملك تثير الحماس فيهم ، وتنزع الخوف من أفئدتهم ؛ فلعل هذا العرض يحرك الفرسان

قال الوزير بحذر : هذه تضحية كبرى أيتها الأميرة .. هذا عرض مغرٍ .. وكيف نسمح يا مولاي بهذا النكاح ؟!

قال الملك وقد تابع الحوار بينهم : رغم صعوبة الأمر على نفسي وعلى النساء وعلى قلب الملكة والسادة عليّ أن أقبل أيها الوزير .. فدم أسد لن يذهب هدرا أو صلحا .. وكما قالت الأميرة الرجل الذي يأتينا برأس الأمير الخائن يستحق أن يكون من كبار الأمراء والحاشية

– ما دام مولاي الملك يرى صواب ذلك ، فسأشهر هذا الخطب للناس والشعب والملأ .. قد تتحمس العامة لتلبية هذا النداء .. فالمال لا يحميهم من انتقام عائلة هاشم .. أما الزواج فسيكون حماية للفارس .. إنها فكرة شجاعة أيتها البطلة .. أمقتنعة أنت بهذه التضحية ؟ وهذا الشخص سيكون زوج الملكة

قالت: هذا لا يكون ملكا يا سيدي الوزير .. أمي تحمل لقب ملكة ؛ ولكنها قابعة في البيت .. والرجل مهما كان ، ويحمل لقب ملك فسيبقى زوج الملكة .. وأنا إذا قبلت بالتتويج إنما لحين حتى يكبر أبناء أخي أسد الأمير هيثم .

– أتحبين التفكير فيما اقترحت ؟

– فكرت من عشرين ليلة وأكثر ..والقاتل اللعين ما زال حرا طليقا ، ونحن نبكي ونعتصر الألم والحزن والحسرة .

أعلن في المدينة أسواقها ومعابدها ومساجدها أن الأميرة بنت الملك هشام مستعدة للزواج من أي إنسان إذا قدم لها رأس حفص حتى لو كان عبدا من عبيد المدينة.

شاع الخبر وانتشر ومضت أسابيع دون أن يعرض شخص نفسه لهذه المهمة الجريئة .. مما أحنق الوزير وقال لقائد الجند: أين الفرسان ؟ أين فرسان الصيد والحرب؟

قال القائد بعمق : السبب يا سيدي الوزير أن الأمير الغادر قريب الملك ابن شقيقه .. والأمير القاتل له أشقاء وأتباع قد يقتلون المتقدم لهذه المهمة .. وهم يرفضون قتل شقيقهم .. الأمر شاق ودقيق .. تحدث معي بعض الفرسان واحجموا .. مهمة خطيرة!

– والعامة

– زارني بعضهم ، وقبل أن أجتمع بهم مرة أخرى تعرضوا للضرب والإهانة والتخويف .

- إذن هناك متورطون ومتواطئون كما تقول الأميرة .. القضية ليست عملا فرديا

- إنهم يريدون الصلح ودفع الدية

- يدفعون الدية أيها القائد إنه ابن الملك وقتل ظلما!

- هذا ما تهامس به أشقاء حفص

- أخشى أن يكبر الدم أيها القائد !

- وهذا ما أشعر به .. الدم يولد الدم

- وهذا ما تريده الأميرة .. القصاص حتى لا يزيد الدم

- والعفو

- لن يحل القضية



جاهر أشقاء حفص بدفع الدية والعفو عن دم حفص لتحقن الدماء ؛ولكن الملك المعتكف في حجرته وقصره ازداد غضبه لما سمع بهذه الأنباء ، واتهم شقيقه هاشما بإخفاء ولده المجرم القاتل لابن عمه ، وإنه لا يقبل إلا بموت القتلة ، وهدد ولوح بنفيهم من المدينة والتبريء منهم .

وأقسم هاشم أمام الملك والسادة أنه لا يعلم بمكان اختفاء ابنه الغادر ، وأنه لن يسامحه على فعلته السوداء أبدا ، وأمام هذا القسم عاد الصمت والهدوء للعائلة ريثما يظهر القاتل وشريكه عفريت .

ولما أدركت الأميرة هند صعوبة الحال وصعوبة الوصول للجاني والنيل منه تذكرت رجلا جيء به من سنوات يعمل لديهم كسائس خيل ، رجلا توسمت فيه الشجاعة والفروسية ، رجلا أخبرها أنه وقع أسيرا في إحدى المعارك وبيع كرقيق ، وخصها به تاجر الرقيق برقاقة على عمله عندها كسائس خيل .

تذكرت رجلا اسمه عمر بكر ؛ فلذلك لما عادت للقصر من ديوان الحكم مشت يتبعها الحرس إلى حظائر الخيل الملكي حيث يعمل الفارس الأسير عمر بكر ، فتح لها قيم الحظائر مرحباً ومستقبلا ، فظن الحرس أنها ترغب بركوب الخيل ، فهي تمارس هذه اللعبة منذ عهد الصبا ، فبعد الترحيب سألته عن عمر بكر ، وبقي الحرس عند الباب ، وتقدمها القيم إلى منزل عمر بكر ، ولما رأت الرجل من بعيد أشارت للقيم أن يتركها ، وتابعت مشيها إلى حظيرة عمر بكر وكان الرجل قد رآها تتقدم نحوه ، ولم تشر له بالمجيء إليها فظن أنها تريد أن تركب جوادا ، فهو يعتني بمجوعة من جيادها الخاصة ، وخبر مجيئها انتشر في الحظائر ، فهي منذ موت شقيقها لم تقدم إليهم فرحب بها الساسة ، فأشارت لهم بالابتعاد إلا عمر بكر نزلت عن فرسها وأمسك به الرجل ، ورحب بالأميرة ، فقالت بصوت مسموع: أين جوادي غضب ؟

- إنه في إصطبله يا مولاتي !

ربط الجواد الذي كانت تركبه ، وتقدم الأميرة إلى إصطبل جوادها المسمى غضبا ، فلما وصلا الجواد أخذت تمسح عنقه وساقه ، وهو أدرك بحسه أنها لم تأته من أجل تفقد الجواد ، وبعد كم سؤال عن الجواد قالت وهي تنظر في عينيه: ذكرت لي أيها الأسير أنك كنت من فرسان قومك المعدودين وغدر بك الدهر ، وذكرت لي مرة عندما أردت عتقك أنك تحب البقاء وأن أبقيك لنوائب الزمن .

كان عمر بكر ابن ثلاثين سنة يزيد قليلا فهز رأسه فقال: نعم ، رضيت بالعبودية والعمل في قصر الملك هشام ؛ لأن قومي تخلوا عني ، ولم يفدوني بمال كما فدي غيري ، حتى بعت كالعبيد وهل يا ترى جاءت نوائب الدهر أيتها الأميرة ؟

تنهدت بحزن : سمعت بموت شقيقي ولي العهد !

- وبكيته حتى جف الدمع في عيناي

فقصت عليه عجز أهل المدينة عن البحث عن القاتل حتى أنها عرضت نفسها للزواج ممن يحقق لها هذه الغاية ، ومضت أسابيع دون فائدة .

فقال وقد فهم مقصدها: أنا أخدمك يا مولاتي بدون زواج .. فأنا عبدك وأسيرك ، ولا أنسى إحسانك لي خلال هذه السنوات الخمس ؛ لكن لا أعرف صورة وهيئة ابن عمك .

– أتقوم بهذه المهمة الجبارة ؟

– أنا لها يا مولاتي .. إنما أريد رؤية شخص يحسن وصفه عندما أراه أقول هو هذا ؛ لأن الرجل إذا ترك المدينة حقا غير اسمه ، وربما صورته .. سأصل إليه وادخل السرور على قلب الملك أم تريدونه حيا

– إن أمكن هذا فخير ..فخير أن يقف أمام القاضي ، ويقطع الجلاد رأسه أمام العامة هذا عز الانتقام والعدالة .. إن فعلت هذا سأكون أنا لك أسيرة وقرينة.. أتحارب من أجلنا؟!

– روحي فداك أيتها الأميرة .. أنا لا أنسى المعروف .. وأنا سيد الوفاء .. فقد قبلت بي سائسا للخيل بدون تردد حدثيني القصة بكل تفاصيلها ، وحاولي نقل وصف جلي لهذا الغادر .. أعرف أنكم لا ترون الرجال إلا في أحوال خاصة .. خادمة من خدمه قد تحقق الغاية .

شرحت له الأميرة قصة زواج شقيقها من ابنة عمه برة رغم تحذير حفص له من الزواج منها ؛ لكنه ولي العهد وابن سيد البلاد ، وقالت: نحن لا نرى بعضنا إلا في مهرجان ومناسبات عامة وقد نتقابل ولا نعرف بعضنا إلا في حال الزواج .. هو طويل القامة أطول منك بقليل بدين إلى حد ما.. هو فارس وقوي ويصيد في البر كما يصيد البحر .. فهم أعني أسرته الكبيرة يعملون في الصيد البحري على ساحل نجوان والتجارة .. لذلك عليك بالبحر .. مغرور فارس أسمر البشرة لحيته خفيفة ، لأنه يقصرها .. يلبس الثياب الثمينة سيفه على وسطه ، وقرابه مزخرف بالجواهر وسآتيك بأوصاف أخرى .

– لابد من معرفة صفاته كيف يأكل .. عيب خلقي فيه ، حتى أعرف أن اصطاده أيتها الأميرة لا أظن أن يعيش بارزا كما يكون في وطنه هذا .. أيضع في يده خاتم ؟ وصفة العمامة المفضلة على رأسه .. لي خبرة في المطاردات عندما كنت فارسا في بلادي

– عندما يئست ذكرتك أيها الشجاع ..أرجو أن تكون عند حسن ظني .. والأمل الذي عقدته

عليك عظيم

- ليكتم أمري ، وسأفعل ما بوسعي ، وسأفعل ليس لأكون زوج الأميرة ، سأفعل لأمر آخر سأقوله لك في يوم ما ، ولإحسانك لي .. ولا أنسى عطفك عليّ يوم مرضت قبل سنتين وإحضارك طبيب الملك ليعالجني ، وتكليف خادم بالعناية بي وأنا الخادم

- نتكلم بعد فوزك ونجاتك ، لم أنس كلماتك أيها الشجاع ظلت في ذاكرتي أبقني لنوائب الدهر لا تخيب الظن بك أيها الفارس الشجاع

- ابشري أيتها الأميرة بالفوز ..وأنا مثلك أحب الثأر

- سألقاك مرة أخرى اكتم الأمر

- أنا خير من يكتم ، وأنت اكتمي الأمر حتى اخرج من هنا بسلام .. فيبدو لي أن أولاد عمك لهم نفوذ قوي في المدينة ،ولهم أعوان وعيون .. فسلاحنا الكتمان حتى أنجح في كشف الأسرار

- رائع ما اسمعه منك! نعم ، هذا كلام الفرسان الأذكياء .. المهمات الخطيرة تحتاج الكتمان والتورية.. لك حكاية تتحدث عنها العيون أيها الفارس؟!

- كنت فارس قوم خذلوني

الفارس عمر بكر

استطاعت الأميرة بمعاونة جارية خاصة ذكية بها أن تتصل بجارية من جواري حفص ، وتنقل لها صورة عن صفته الخلقية والخلقية ، وهي بدورها نقلتها لعمر بكر واستوعبها الرجل ، وعرضت عليه الأميرة أن يعمل معه أحد خدمها .

فقال : أنا أتظاهر أمام رعاة الخيل برغبتك بنقلي للخدمة في قصر الملك .. ودعيني أعمل وحدي يا مولاتي .. الآن كيف سيكون أمر مغادرتي الحظائر ؟!

– أعندك اقتراح؟

– حسنا ، بعد يومين ارسلي خادما يطلبني من القيم للقائك في القصر ، وليكن اللقاء في خان أو دكان في سوق وأن تكوني متنكرة أو في غابة من غابات المدينة .. وبعد هذا اللقاء سأختفي من المدينة بضعة أيام .. سيقع في قلب أهل الحظائر أني أعمل في خيل القصر وعرباته .. وأهل القصر لا يعرفون عني شيئا .. ولسوف أتابع مهمتي السرية .. وأحقق ما تشتهين ؛ ولهذا خلق الرجال .. الظلم مرتعه وخيم .

التقت الأميرة بعمر بكر في أحد أسواق المدينة ، وتسلم منها صرة من المال ، ولما انسحبت الأميرة المتنكرة ذهب إلى أحد الخانات يقضي ليلته ، ويتدبر مغامرته ، وكان متنكرا عندما التقى الأميرة بشخصية راعي حلال ، والذي يميزه عن الناس لبس قميص جدي من صوف الخراف ، لم يعد خطة معينة ؛ ولكنه سيسعى للتقرب من أشقاء حفص الذين زودته الأميرة بأخبارهم ونشاطهم في المدينة ، فهم أصحاب مراكب للصيد ، وأصحاب مراكب للتجارة ، وهم خمسة ذكور ما عدا حفص المختفي ، والهدف من الاتصال والتقرب إليهم ؛ ليتأكد منهم ويعرف هل حفص في المدينة أم خارجها؟

بحث عن بيت يسكنه ومقرا لعمله الجديد ، واختاره حول أحد الأسواق ، وبعد تمكنه من الحصول على البيت مشى إلى سوق النخاسة ، وكان قد تحول من راع إلى صياد وعامل بحر عتال بمعنى آخر ، كان يريد شراء عبد كبير في السن ليسكنه البيت المستأجر ، وتمكن من شراء

أحدهم عمره فوق الخمسين ، وساقه للبيت الجديد ، وتناول معه الطعام ، وقال له: كيف قوتك؟

- ستجدني الخادم القوي يا سيد جعفر - ما اسمك

- سمني بما تشاء - سيف

- سيف يا سيدي - سيف بن جعفر

- سيف بن جعفر أنا عبدك المخلص

قال عمر بكر المسمى بجعفر الصياد البحري : أنا مغامر جوال بين المدن والبلدان ، ولست من أهالي نجوان هذه .. أتفهم ما أعني؟ يوم هنا وآخر هناك .. أعمل مع ذا وغدا مع ذاك .. أنت مكانك هنا أغيب يوما عشرا شهرا سنة وأعود لا تفارق البيت إلا لشراء ما تحتاجه حتى أعود

- أنا خادمك وعبدك

- بعد حين ستكون حرا يا سيف

- أنا لا أحب الحرية .. عندما تعجز عن إطعامي وكسوتي فبعني يا سيدي .. قضيت عمري هكذا

- حسن سأهبك لأحد الأسياد

- هذا خير يا مولاي

- حسن اذهب للنوم

- أين؟

- هنا

- هنا .. كيف ؟!

- سأتعامل معك كأنك حر يا سيف .. أنا مغامر جوال أغيب في مهمات وارجع

- ماذا تعمل يا سيدي؟

- قلت لك مغامر مرة مع الصيادين مرة مع التجار .. كلما أغيب لو طال سفري لا تبحث عني

وإذا قل المال في يدك للإنفاق على نفسك ، فسأدلك على صديق يقرضك حتى ارجع كم يكفيك في الشهر ؟

- أكل

- نعم

- ثلاثون درهما كفاية

أخذ عمر بكر يتنكر بزي متسول ويذهب إلى مواني المراكب ـ فجزء كبير من نجوان ملاصق للبحر ، وحياة الناس البحر والزرع ـ حيث تعرف على مراكب وسفن حفص الغادر وأشقائه وبعد حين تحول إلى عتال بحر زاعما أنه كان صيادا ، ثم مرض فهجر الصيد البحري ، واستطاع أن يعمل على سفن يملكها أبناء هاشم العامر ، وخلال أسابيع أصبح عاملا معروفا لرؤساء السفن ، ويرفض السفر على المراكب بإصرار زاعما رعبه من الماء بعد الحادث الذي أصابه قبل سنوات ، فكانت مهمته تفريغ السفن وتحميلها بكل همة وقوة ، وكان يلتقط كل جملة عبارة إشارة تساعده في تحقيق الهدف من هذه المغامرة ، فعرف أن الأمراء لا يعملون بأنفسهم ، إنما بواسطة وكلائهم ورجالهم وعبيدهم ، والتجارة رائجة نشطة في نجوان ، وتنقل البضاعة منها إلى المدن الكبرى المجاورة .

بعدما يقارب شهرين أصبح ؛ كأنه يعمل معهم من سنوات ، فكان يسهر الليل مع رجال المراكب ، فازدادوا به ثقة ، وكان أحيانا يساعد مراكب الصيد في التفريغ .



كان عمر بكر يوصي خادمه بأن لا يبحث عن إذا طالت غيبته ، وإذا انتهت الأموال فليدبر نفسه حتى يرجع ، وقال موصيا :إذا تأكدت من موتي ، فأنت حر . ومخبرا له أن المراكب قد تأخذ وقتا طويلا قبل العودة ، أدرك العبد أن سيده يخوض معركة خطيرة وسرية، لأنه يرفض أن يرافقه في هذه المغامرة ، ووعده بالانتظار حتى اليأس من عودته

وغادره للميناء البحري وقبل أن يركب معهم هذه المرة على متن إحدى السفن زاعما أن خوفه من ماء البحر أخذ يتلاشى فصدقوه ، هو في نظرهم مجرد عتال نشيط يستغنى عنه في أي وقت وقبل الركوب في سفينة الربان عدنان كبير البحارة عند أبناء هاشم ، ورحب به الربان على سفينته وقد عرف همته خلال الأيام الماضيات ، وكانت هذه السفن تنتقل بين مواني المدن الساحلية على جانبي البحر ، ومراكب الصيد كانت تذهب إلى الجزر البحرية داخل البحر الكبير وتعود لنجوان ، ولاحظ خلال عمله على ظهر المركب أن أهم مدينة لديهم مدينة أروى فإن شرقوا عادوا إليها قبل عودتهم لنجوان ؛ وإن غربوا عادوا إليها قبل العودة لنجوان رغم أنهم يحملون إليها بضاعة ويأخذون منها ، شعر أن فيها بغيته وطلبته ، وأنها المدينة التي يترك فيها الربان عدنان منطقة الميناء لقلب الأحياء والمدينة ، فقال لنفسه: أرى أن الأمير الهارب يعيش فيها . لذلك صمم أن يترك السفينة والمراكب الأخرى ويتبع الربان عدنان خفية.

وكما خطط والأميرة أن البحر مكان اختفاء حفص ، فالبحث في البحر ليس كالبحث في الجبال والبر وغابات نجوان ، فالمدن البحرية يصعب اكتشاف الهارب فيها ؛ لأنها كما هو معلوم أناس يأتونها وأناس يخرجون مها .

وصلت السفن إلى مدينة أروى كما اعتادت ، عندما أفرغت الحمولة لبعض التجار ، أخذ رجال السفن يبحثون عن البضاعة التي سيحملونها لنجوان أو غيرها ، ولما غادر عدنان الميناء لقلب المدينة تبعه عمر بكر سرا ، وظن أهل السفينة أنه ذهب يشتري هدية لأحد الناس كما تحدث مع بعض البحارة عن ذلك ، فقالوا: ربما ذهب يشتري شيئا من أسواق المدينة.

تبع الربان عدنان نحو المدينة ، وظل تحت عينه هو ورفيقه، وشاهدهم يدخلون أحد خانات المدينة ، وبعد حين رأى عدنان يغادر وحيدا ، فتبعه حتى رآه يدخل بيتا قضى فيه ساعة أو أكثر وكان قد دخل يحمل كيسا ، ولما غادره لم يكن يحمل الكيس ، عرف البيت والحي ، ورأى امرأة تودع عدنان ، فأسرع إلى السوق واشترى عقدا من الفضة والخرز الملون ، ورجع للسفينة متظاهرا بشراء العقد هدية لبنت صديق له ، وتفرج عليه القوم أو بعضهم ، وقالوا : لا بأس به

لفتاة صغيرة .

وفي الصباح وصلت البضاعة المشتراة ، وقام الحمالون بحملها ورفعها إلى سفنهم ، ولما وصل الربان عدنان ورفيقه الميناء بعد أن قضيا ليلة في خان من خانات المدينة ، تحركت السفن إلى موانئ أخرى معروفة لهم ، توقفت السفن التجارية في إحدى المدن الساحلية الكبرى لبيع ما تحمل وشراء ما يباع ، واستمرت الرحلة والسفن تتنقل بين المدن ، وقبل أن تصل مدينة أروى مرة أخرى اختفى حمزة ، كان عمر بكر قد سمى نفسه لهم حمزة ، وبعد انتظار تحركت السفينة والسفن دونه ، وقال عدنان حاسما غيابه : إن كان حيا سيسافر باحثا عنا . وتركوا خبرا عند أحد التجار أن يذكر له إن سأل عنهم أنهم ذاهبون لأروى ، ومنها لنجوان ، فلهم عدة أشهر في البحر وتابعوا رحلتهم ؛ إنما حمزة مجرد عامل .

وأما عمر بكر فركب دابة إلى مدينة أروى ؛ لأنها مدينة متصلة بأروى عن طريق برية ، تتنقل القوافل البرية بين المدينتين ، وفور وصوله أروى باع دابته ، وكان قد خلع ملابس البحارة والحمالين ، وذهب في الفجر إلى البيت الذي يحسب أن الرجل حفصا مختفي فيه ، وكان يفكر بحيلة يدخل فيها البيت ؛ ليتأكد من وجود الصيد بعد تعب كل هذه الشهور ، وفكر بأن يلبس ملابس شرطة المدينة العسس ، ولما تأكد من المنزل عاد للمدينة يبحث عن ملابس العسس ، وعرف أحد الخياطين الذين يخيطون الثياب للشرطة ، واشترى منه ثيابا كهدية لأحد أصدقائه الشرطة ، وابتاع حمارا يركبه رجال العسس زاعما أيضا أنه سيهديه لصاحبه الشرطي ، وفي الليل تنكر بذلك الزي ، ومشى إلى ذلك البيت ، وطرق الباب وبعد حين من الانتظار فتحت جارية الباب ـ كما عرف فيما بعد ، وعرف أنها نفس المرأة التي ودعت عدنان ـ وكانت تحمل مصباحا وهو كان يحمل مصباحا فقال لها بلهجة قوية وماكرة : أهذا بيت جعد ؟ وأجاب نفسه قالوا لنا إن مجرما هاربا يسكن فيه .

اضطربت الجارية رعبا وقالت: هذا بيتي .. وأنا وزوجي نعيش فيه .. وما هو ببيت مجرم .. لا هذا بيت محترم

- أين زوجك أيتها المحترمة ؟

ظهر رجل خلف المرأة ؛ كأنه كان يتابع الطارق ويتنصت ، وقال: ماذا تريد أيها الشرطي؟

- حدثت جريمة عند الميناء ، وذكر لنا بعض الشهود أن المجرم يسكن في هذا الحي .. وهذه المنازل ؛ ولكنكم كما يبدو لي لا علاقة لكم بالجريمة أهذه أهلك؟

- إنها جاريتي وزوجتي .. هل المجرم يختفي في هذه البيوت؟

- كان اللعين يركض وشاهده بعض البشر يأتي هذا الحي .. وعلينا أن نسأل الناس هنا ، وقد سألنا بعضها ؛ لنتأكد أنه لم يدخلها ، وفتشنا بعضها ، ووصل البحث بنا هذا البيت ..أأنتم لم يدخل عليكم غريب ؟

- أتريد التفتيش ؟

- أنتم متأكدون من عدم دخوله هذا البيت؟

- لم نر أحدا يدخل البيت

- هل تغلقون القفل عند النوم؟

- نفعل ذلك منذ الغروب .. والسور عال وعندما نستقبل الأصدقاء نفتح لهم الباب

- أنا راغب أن أقوم بواجبي الآن أفضل أن أعود لكم مع الصباح

دخل الشرطي البيت ، وتظاهر بتفتيش البيت من الخارج وقال : الغرف من الداخل فيها أحد كأني سمعت حركة مشي!

- عندنا خادم تعال انظر إليه

دخل يفتش الغرف ، وعندما انتهى من التجوال فيها ، وخرج وجد شابا قال زوج الجارية: خادمنا اسمه نعمان .



المشاورة

استطاع الفارس عمر بكر الوصول للهدف ، لمَ يتمتع به من ذكاء وصبر ، وهو علم من الأميرة عندما عرضت نفسها زوجة لمن يقدم رأس حفص ثأرا لها ولأبيها الملك ، فقد أخبرته أن الوزير أعلمها أن شبانا سعوا لهذه المهمة الخطرة ، فتعرضوا للأذى من قبل أشقاء ورجال واتباع حفص ، فهم إذن يعرفون مكان أخيهم ، ومتآمرون معه أو يحمونه ليقنع الملك بالصلح والدية فكان البحر هو الصلة بينهم وبينه ، فقضى الفارس معهم شهورا حتى وصل لبيت حفص في مدينة أروى .. وأهل المدينة حياتهم الصيد والتجارة البحرية ، وأهل القرى يهتمون بالمزروعات والمطعومات .. فاستطاع الشاب بشخصية العتال والحمال القوي أن يعرف المكان وأن يقابل حفصا ، ويجده حسب الصورة التي وصفت له قابعا في بيت في تلك المدينة ومعه خادمه عفريت وامرأة تزعم أنها أمة عفريت وزوجته .. أهي من أروى أم نجوان ؟ ..ولما غادر المكان شاكرا لهم تعاونهم ومحذرا لهم إخفاء المجرم عن العسس .. طرق الباب التالي على مسمع من الجارية التي تبعته لإغلاق باب الدار ، ولما فتح الباب سألهم كما سأل الجارية ، ثم الباب الثالث ، ثم غادر الحي وعاد للبيت الذي استأجره وهو يفكر بالخطوة التالية .. فقتل حفص في هذه البلد ليس عملا سهلا إذا كشف أمره سيعاقب ، فهو غريب والمقتول غريب ، فسيكون هدر دمه سهلا .. فالقتل غيلة يحتاج إلى تدبير ومكر حسن لينجو بريشه .. وخشي الانتظار والتأخير أن يهربوا أو أن يكتشفوا أنه شرطي مزيف ، ولم يقتل أحد عند الميناء

تسربل في الصباح بملابس متسول أعمى بيده عصا نحو ذلك الحي من المدينة .. خشي أن يهربوا إذا لم يطمئنوا لدخوله عليهم ، وكان يتوقع هربهم فهم أذكياء فطن ، سوف يتعسعسون عن الجريمة ، وقد يهربون بعد مجيء الربان عدنان إليهم بالمزيد من المال .. وراقب البيت منذ طلع النهار ؛ ليتعرف كيف يحيون في المدينة أم يختفون فحسب؟

اقتربت السنة أن تنفد ولم يقبض على حفص ؛ ولكنه بفضل الله استطاع أن يحقق شيئا في نظره فقد قدم والد حفص مالا لمن يحقق له قتل ابنه ، وهو موقن أن لا أحد سيفعل ذلك ، فالأولاد

له بالمرصاد ، والأميرة قبلت بالزواج ممن يفعل ذلك ؛ لكن لم يحدث شيء ؛ فكان لابد من العمل بسرية تامة .. أهله لا يريدون تسليمه للقاضي ، بل يرسلون له المال بين الحين والآخر ، ويزوره عدنان نيابة عنهم ، وهو سيبقى بعيدا لحين من الزمن ، ثم يعود للمدينة متنكرا بشخصية أخرى حتى يهلك الملك ، والأيام تضعف المصائب والثأر .. والذي احتاط له عمر بكر تحقق فلم يعد يرى الجارية والعبد ؛ ولكنه استطاع التعرف على البيت الجديد الذي رحلوا إليه من نفس الجارية ، فقد كانت تترد على البيت القديم ، لم يقطعوا صلتهم فيه ، ومرات يأتي زوج الجارية ، هو أدرك وخمن أنهم ينتظرون عدنان الربان .

كان عمر بكر يفكر باغتيال العبد في أول الأمر ليضعف شوكة حفص ، ويقذف في قلبه الرعب والخوف .. إنه اقترب من الوصول إليهم والسعي إلى أسرهم ونقلهم إلى نجوان .. وأخذ يتأمل هذا العمل ونتائجه ، ولاحظ عمر بكر أن عفريتا فارس لا يستهان به ، فبدأ قويا فعليه أن يصرعه دون أن يكشف أمره .

جاء عدنان للبيت الجديد والتقى حفصا وعفريتا وسمع منهم سبب رحيلهم ، فذكر عدنان أنه سمع عن جريمة حدثت في الميناء بل أكثر من جريمة بعضها عرضا وبعضها عمدا ، وفي الغالب يلقى القبض على القاتل فور وقوع الجريمة ، وقضى الليل مع الأمير يحدثه عن أخبار نجوان ، وأخبار أولاده وزوجاته .

واخبره الأمير عن رغبته بالعودة للمدينة خفية فقال عدنان محذرا : نحب لك هذا ؛ لكن الملك وابنته ما زالوا مهدرين دمك ، وعلمنا أن الأميرة أرسلت الرجال خلفك سرا ، وأنها جعلت لمن يأتيها بك حيا أو ميتا زوجا لها .. وهذا يعني أن يكون ملكا على نجوان .

- هذا رأسي يعادل الملك ..أيها الربان مللت من الاختفاء ..وأنا الفارس الشديد البأس

- نحن لسنا في ميدان القتال يا سيدي الأمير .. هذه حرب خفية بيننا وبين الأميرة .. نحن افشلنا الكثير من أحلامها .. ولم نسمح لأحد أن يغادر المدينة بحثا عنك .. ولكنّ دمك مهدور .. والدك دفع جائزة أمام أخيه والسادة فليس أمامك إلا الصبر .. فالملك ما زال ناقما معتكفا في

قصره ويحكمنا اليوم ابنته

- أريد إحدى زوجتي لي سنة محروم من النساء

- ألا تخشى من مجيئها ؟! .. النساء عون الشيطان ، هل نجلب لك سرية من أروى ؟

- لا أحب التسري وأنا السيد المطاع .. أنام مع جارية لا تعلم كم من الرجال عاشرها.

- نأتي بها بكرا

- وهل هذا يصدق؟!جارية وبكر !

- أنت هنا إنسان مطارد أو مطلوب .. لا أحد يعرف أنك الأمير حفص إلا نحن المقربون إليك والمرأة من أنصار الشيطان ستطلب الأولاد .. ستقول لم أر أولادي من كذا وكذا .. أؤكد سمعنا أن الأميرة أرسلت رجالا سرا ، لم نعرفهم لحتى الآن .. المدينة فقدت بعض الرجال فأنت غايتهم.

- كيف سيصلون إليّ؟!

- الإنسان ماكر ومحتال

قال حفص متشككا : لنا قريب من العام دون أن نرى وجها منهم ..هؤلاء المختفون إما هلكوا في البحر أو ضاعوا في المدن أيها السيد الشجاع .. ومن يضحى من أجل الأميرة ؟ وهو يعلم أنه مقتول!!



قرر العودة لنجوان للتشاور مع الأميرة بعد تحقيقه بعض النصر ، فعاد إليها بمركب صيد ، والرجل كما عرفنا يستخدم ملابس تنكرية حسب المهمة وأسهلها لإخفاء شخصيته الحقيقية ، استقبله الخادم سيف بكل حرارة ودفء ، وحدثه عن تنقلاته في البحر تسلية ، وشكره على شوقه وخوفه عليه ، فزعم له أن حياته التي مضت قضاها هكذا ، وزوده بالمال وقال : أنا رجل جوال اتصل بالتجار ، وأعمل في البحار ، وأقابل أهل الحكم والسلطان اذهب الليلة إلى قصر الملك حيث ينام ، واطلب الحديث مع الأميرة هند ، فهي أوصتني على

غرض ، ولما تتأكد أنك بحضرتها قل لها "الظلم مرتعه وخيم " ثم أخبرها أنك راغب برؤيتها في السوق كما تواعدنا المرة الماضية.



أدرك الخادم أن سيده سيد كبير من سادة المدينة ، وأنه في مهمة ملكية سرية وخطيرة ، استغرب الحارس من الرجل الشيخ الذي يطلب لقاء الأميرة ؛ ولكنه بحكم الوقت يعرف مسبقا أن للأميرة أعوانها الأخفياء.. ومقابلة الأميرة متاح لكل الشعب خاصة في النهار وفي ديوان الحكم .. فالملك وابنته يسمحون للعامة بالتظلم أمامهم دون معوقات .. وبعد أن تفقده من حمل السلاح ولو خنجرا ساقه الحارس إلى غرفة خاصة غرفة طالبي الحاجات ، فوجد خادم عمر بكر غيره في الحجرة يطلبون لقاء الأميرة .. وفي ساعة متأخرة من الليل بدأت الأميرة تستقبل هؤلاء الناس ، وتسمع لهم حتى جاء دور سيف ، فقال له الحاجب: أنت بين يدي سيدة البلاد قل حاجتك

فقال العبد: أحق أنت الأميرة هند بنت الملك ؟

كانت الأميرة تصوب النظر إليه بعمق ، وبينهما مسافة فهو يقف عند باب الحجرة ، وهي عند باب داخلي وحولها ثلاثة حراس والحاجب ، واحد الكتبة ، فقال الرجل حيث يقف: الظلم مرتعه وخيم يا مولاتي الأميرة . وكررها ثلاث مرات وتطلع في عينيها وسكت

- أمتأكد أيها الرجل أن الظلم مرتعه وخيم ؟

- نعم ، سيدي جعفر هكذا يقول السوق غداً ، سيكون سيدي في السوق

- حسنا ، سنتقابل .

أعطته صرة فيها دراهم :أعطها لسيدك .. سأراك بإذن الله قبل الظهر

غادر سيف ، وتأكد في قلبه أن السيد يعمل للأميرة أمرا خطيرا ، ولم يفهم إلا أنه رسول لا علاقة

له بالقصر ، وأن الأميرة فهمت الرسالة.

وجد عمر بكر الدكان مفتوحة فتسلل إليها ، ومن الدكان إلى غرفة خلفية لها منفذ على الشارع الآخر ، رحبت الأميرة به بالفرح والسعادة ، ولولا الحياة لاحتضنته ، فقد طالت غيبته ولعب الشيطان كثيرا في عقلها ، فقالت بعد أن سكنت عواطفها : بشر أيها الشجاع!

قال دون تردد : عرفت مكانه يا مولاتي الأميرة والتقيت به ، وهو يعيش متخفيا في مدينة أروى تركته هناك لا أدري بعد مغادرتي خبرهم ، معه خادمه عفريت ، شريكه في الجريمة ، ومعهم امرأة تزعم أنها زوجة لعفريت ، فكرت بقتله دون أن تمسك بي شرطة أروى .. فلم تتاح لي الفرصة أتحبين الحديث معه قبل الفتك به؟

توهجت بتشف وحقد وسرور وقالت: أيمكنك أسره أيها البطل ؟!

روى الفارس رحلته في المطاردة والبحث عن الأمير القاتل حتى التقيا في هذه الدكان السرية للأميرة ، التي تقابل بها عيونها في المدينة فقالت بحماس وإعجاب : أنت نعم الرجل .. كنت قدر كلمتك .. لقد كانت نظرتي إليك صائبة .. لم تكن سائس خيل ..أنت فعلا فارس .. لا أدري كيف فرط فيك قومك ؟! ألا تزيدني معرفة بك ؟!

– صبرنا سنونا ، فلننتظر قليلا أيتها الأميرة الباسلة .. في الوقت المناسب ستعرفينني أكثر .. لو تكلمت عن نفسي الآن ستقول هذا رجل مخبول العقل دعي أحمق .. وأنا قد أكون كاذبا ولم أقابل حفصا ولا غيره

فقالت مؤكدة فهمها للناس : أنا أميرة وتتحدث مع الرجال ، فتعرف الكلام الصادق من الكاذب .

– فداك نفسي أيتها الشجاعة .. إذا لك رغبة بالتنكر والذهاب لأروى ورؤية غريمك .. فعلينا أن نرتب لذلك أم انجز المهمة وحدي .. ولعلي أتمكن من جز رأسه ، ونقله إليك هدية أم تخافين من قطع الرؤوس .. فنحن أهل السيف عندنا قتل وسفك الإنسان أسهل من قتل الحيوان ؟!

– أعرف الصيد وأحسن الطعن بالسيف والرمي بالدبوس والرمح ، لم أشارك في معركة .. بلدنا

مسالمة ..لا نغزو ولا نغزى .. قلبي يخفق لك

– أرجوك أيتها الأميرة أنت ملكة .. علينا بترك المشاعر والإعجاب لحين انقضاء المهمة ..لا تفكري بالزواج مني .. وإذا قتلت ابن عمك حفص فسأصبح هدفا لهم ، ولو كنت الملك نفسه وإذا هم يعملون كل هذه الحماية له فكيف بعد مقتله ؟

قالت بنوع من الدهشة :أنا قدمت نفسي عروسا لمن يساعدني في الانتقام لكل أهل المدينة .. أين أبناء العم ؟ ! لم يتحرك أحد منهم ، ولا أحد من أبناء الخال ؛ لتحقيق القصاص .. أليس القاتل في الشرائع يقتل! إنهم يريدون الصفح والعفو .. فمن أجل هذا يتسترون على حفص الغادر .. ويحاربون من يريد السعي في البحث عنه

– وهل هؤلاء يقبلون شخصا من العامة جيء به رقيقا ؛ ليكون عليهم ملكا ولو بدون حكم زوج الملكة ؟!

– نحن ملكنا أيها الفارس حتى يكبر ابن أخي ، ويشتد عوده فيكون هيثم هو الملك .

– أخشى عليك الترمل يا مولاتي ! .. وهناك أمر أهم من هذا .. ويباعد بين جسديا فلنبق أصدقاء من أجل الانتقام

استغربت الأميرة من كلام الفارس فقالت بفكر : لماذا لا يحق لنا أن نتزوج أيها الفارس ؟

– لا أستطيع الإجابة اليوم ، ربما بعد قتل حفص .. فابن عمك قتل ولي العهد لأنه تزوج فتاة اعجبه حسنها وسبقه إليها ابن الملك .

– أنت حيرتني أيها الفارس!

– سأتكلم المرة القادمة ، وستعرفين سري وسر مجيء إلى هذه المدينة كعبد أسير .. هل تحبين المغامرة والفسر ؟

– كنت أتمنى فعل ذلك بنفسي يا عمر بكر ؛ لكنني أتحمل مسؤولية الحكم اليوم .. فمنذ مقتل أسد وأنا أدير المدينة ..والدي اعتكف في القصر .. ويكاد يخلع نفسه لأجلس على العرش أجلت حتى يقتل حفص أمام أهل المدينة .. فعليك أن تعمل وحدك .. وإذا تيسر لك قتله وتأتينا برأسه

فأنا لك من الشاكرين .. المهم أن لا تعرض نفسك للموت أو الأسر من شرطة المدن .. وإن حصل هذا فارسل لنا لعلنا نتدبر الأمر .. كما يحصل بين الملوك والقادة ..قلبي يخفق لك حقيقة

- فليخفق كحب أخت لأخيها .. نحن أخوة في طلب الثأر



التقوا ثانية في متجر سمعان ، وأكدت له عجزها عن ترك المدينة ؛ لأن والدها الملك يرفض العودة للجلوس على عرش الحكم ، ويخشى عليها غدر الطرق ومدته بالمال ، فطلب منها مركبا ببحار ، ثم تراجع عن ذلك بعد تفكير قائلا: أنا أتصرف وحدي .. كنت أرغب بأسر الرجل ونقله للمركب .. فأفضل إحضاره حيا للمدينة أيتها الأميرة لإعادة الهيبة والرهبة للملك ، وأنه قادر على النيل من خصومه وعدوه ؛ لكن المركب قد يفضح المهمة ؛ لأن الوقت للمكر بهم غير معروف لديّ .

قالت مثنية على جهده : تضحياتك مقدرة عندنا أيها الشجاع .. وفكرة الأسر عظيمة لو تحققت وأترك ذلك لقدراتك .. غداً نلتقي ويكون لديك مركب أو استأجر بحارا بمركب

- لا بأس بذلك

ذهب عمر بكر إلى أروى ووجد الصيد قد طار واختفى من البيتين ، فتنكر بزي شرطي وحماره وفي عتمة الليل ذهب لذلك المنزل في ذاك الحي ، وسأل الجيران عن أهل البيت الخالي فدلوه على مالك البيت ، فسأله عن المستأجرين الرجلين والمرأة ، وأنهم مطلوبون بقضايا مالية لأحد الناس فقال: جاءني رجل اسمه جواد ، واستأجر البيت لمدة أسبوعين ، وقد يزيدها إذا احتاج لوقت أكثر ، ودفع الأجرة وسلمته العقار ، وعليك بالدلال سمحان في سوق النحاس فهو الذي جاءني بجواد هذا ، ووصل إليه عمر بكر بسهوله وسأله عن عفريت فقال: نعم ، اذكره هو نزيل المدينة .. اذكر هذا الرجل ووصفه الذي ذكرت .. احتاج لبيت لمدة نصف شهر ، وجاء من يومين وأعاد المفتاح ، وذهبت وإياه للبيت واستلمته منه وودعته ، وذهبت لصاحب البيت وأعطيته المفتاح وشكرته ، ولا أعرف إلى أين رحلوا ؟

عاد عمر بكر لبيته المستأجر يفكر بالحل لهربهم الجديد ، وكيف الوصول إليهم من جديد ؟ فخطر له الميناء والربان عدنان ، فكما أوصله إليه سابقا سيوصله إليهم من جديد ، فسر من ذلك الخاطر ، وغرق في نومه .

تناول طعامه في الصباح وقال : عدنان هو حلقة الوصل بين الأمير وأهله ..وأنا لا أفكر بالعودة للعمل معهم بعد هذه الغياب ، فصار يذهب للميناء من الصباح حتى العصر ، أحيانا يعمل حمالا ، وأحيانا أخرى يتجول بدون عمل ، قضى عشرة أيام دون أن يظهر عدنان ولا أحد ممن عرفهم أثناء عمله معهم في البحر ، فسافر إلى نجوان بشخصية تاجر جوال ، ورأى عدنان بعد أيام قد دخل للميناء لتفريغ حمولة ، فتقدم بثيابه الأنيقة يتفحص القماش الذي انزله الحمالون ، وقال بلهجة من يأمر ويعرف التجارة : هذه الثياب من أي البلاد أتت؟

فاقترب منه أحد الرجال: أيها التاجر من أي البلاد ؟

قال بحذق تاجر خبير : أنا تاجر جوال أجوب الموانئ وأقاصي المدن ، وأتحرى الأجود والأغلى وتخصصي في الثياب وجذوري الأولى تعود لأروى التي يفصل بيننا وبينها هذا البحر ، فكلما أنزل ميناء بحري أتفرج على حمولات الأقمشة .. فهذه نوعية راقية ليست من أروى ولا سادة

قال التاجر البحري: لقد حملناها من سادة ، واصلها من يمن ، بلاد عربية شمال بحر العرب مشهورة بهذه الثياب والبرد

- اعرفها ، ورحلت إليها من الهند وعُمان - إنها تصل سادة عن طريق البر

- أنتم لا تبيعون هذه الأقمشة

- نحن لا نبيعها أيها التاجر الجوال

- لو سافرت سادة سأجد مثلها إن شاء الله

- نعم ، تاجران تجد عندهم مثل هذا القماش .. التاجر شرف الدين وظاهر الدين .. وسادة من أفضل المدن التي تبيع القماش

- ومدينة نجوان التي نحن فيها الآن .. ما أهم تجاراتها التي تنصحني بحمل مركب منها إلى

سادة ؟

- هذه البلدة لا تصنع الأقمشة .. نحن بلد التوابل والفلفل والصوف والقرفة والملح والبرتقال هذه الأشياء نبيعها للمدن المجاورة ومنها سادة

- تجارة الملح جيدة والبهارات الحارة صوفكم غير منسوج

- صوفنا غير منسوج ، ولا نظيف يقص عن الغنم ويجمع ويباع في أروى .. هناك تحوله النساء إلى منسوج ، ويباع للخياطين

- سأحمل إلى سادة التوابل .. مدينة كبيرة تفتقر للقماش ..ماذا تفعل النساء هنا ؟

- النوم والغناء

****

سافر عمر بكر إلى مدينة سادة فقد ترجح لديه انتقالهم إليها ، وفي الصباح ارتدى ملابس حمالين البحر ، وهو صار خبيرا بالعمل في الموانئ منذ تعهد بالقيام بمهمة البحث عن حفص ، وكان يرقب سفن مدينة نجوان وسفن الربان عدنان ، وتعرف السفن من الرايات التي ترفع على السواري

وهو يترقب سفن نجوان ذات نهار رأى عفريتا يتجول في الميناء ، فصدق ترجيحه من انتقالهم لسادة ، فاستعد لمراقبة ومتابعة عفريت ، وظل عفريت في الميناء البحري حتى العصر ، ثم خرج من الميناء ، وأدرك عمر بكر أن الرجل ينتظر سفينة من سفن أشقاء حفص لأمر اضطراري أو هو على موعد بشيء من بلاده

تبعه عن بعد حتى وصل لحي في المدينة ورآه يدخل احد البيوت ، وظل يراقب البيت خشية أن يكون الرجل فطن له ، ويريد المكر به ، ولما زاد الظلام عاد إلى الخان الذي ينزل فيه .

وكان الفارس يتوقع ويخمن مجيء الربان عدنان لهذه المدينة لما رأى عفريتا في المرفأ .. هل يرقب رسالة من سفن نجوان ؟

عاد في الصباح للميناء كعامل تحميل ، ورأى عفريتا ثانية في الميناء فقال: الرجل قلق ، فربما يريد

إرسال رسالة إلى نجوان . فكر بأن يذهب لمراقبة البيت ، ثم فضل متابعة عفريت ومعرفة سر تردده على المرفأ ، وفي المساء عاد عفريت للبيت المختفي فيه القاتل فقال: إنه يرقب سفينة من نجوان من سادته

وعند أول الليل رأى الربان عدنان ، يدخل المرفأ البحري لسادة ، وهو يعرف سفينته خير المعرفة ، أفرغ الحمالون حمولة السفينة على أحد الأرصفة ، وكان الرجل يبحث في عينيه عن شيء فوقع في قلب عمر بكر أنه يبحث عن عفريت ، كأنه لا يعرف بيته ، فهم على موعد يبدو أنهم تركوا أروى دون متابعة من عدنان أو على الدواب فارقوها ، أو على مركب خاص بعد حين رأى عدنان يصحب امرأتين نزلتا من السفينة إلى أحد الخانات القريبة من الميناء حيث سوق الميناء الكبير فوقع في قلبه أنهما زوجات حفص أو زوجة وخادمة ، ورجح أن عدنان لا يعرف البيت ، ومن أجل هذا يتردد عفريت على الميناء ، وأن حفصا أتى المدينة بطريقة خاصة حتى لا يعرف ركاب سفينة عدنان بذلك ويتهامسون بذلك ، فجائزة الزواج من الأميرة هند تغري المغامرين ، وما زالت قائمة .

قضى عمر بكر ليله في خان آخر قريب من خان نزول عدنان ، وفي الصباح رأى عفريتا يدخل المكان ، ولاحظ السعادة التي غمرته عندما شاهد سفينة عدنان ، ثم بعد حين رأى عدنان يدخل المكان ، والتقيا وتعانقا ومشيا إلى الخان ، وهم تحت عيني عمر بكر ، ودخل عدنان للخان ، وعاد يصحب المرأتين وخرجوا من الميناء نحو المدينة مشيا على الأقدام ، وتقدمهم عمر بكر حيث رآهم يدخلون البيت ، وبعد وقت رأى عدنان يغادره دون النساء فقال: لابد إنها إحدى زوجاته

سعى الفارس لاستئجار بيت في نفس الحي وترك الخان ، وتحقق له ذلك بكل يسر وسهولة ، ولا يبعد البيت عن بيت الأمير سوى بضعة أبيات ، وأخذ عمر بكر يفكر بالقضاء على عفريت فقد رأى أنه القوة الضاربة واليد اليمنى لحفص السجين ؛ فإذا نال منه سيرتبك الأمير ، وقد يتمكن من أسره ونقله لنجوان ، ويريد قتله والنجاة من تبعة الجريمة .. فعفريت قاتل غادر

خائن يستحق الموت .. فهو شريك حفص في الجريمة الملكية التي أودت بحياة أسد بن هشام هل سيعود الأمير بعد هلاك مساعده لنجوان ؟ يريد قتل عفريت بطريقة تبدو عشوائية قتل غير مدبر ، قتله في مكان بعيد عن الحي ، لما تأكد له مغادرة عدنان المدينة ، وضع خطة الاغتيال لعفريت.

لاحظ عمر بكر أن الأمير لا يخرج من البيت إلا قليلا للتريض ومرافقة الجارية للسوق ، وذلك قليل .. كان الدور الأكبر للحركة لعفريت وجاريته ، ولاحظ في أروى أن الجارية الأكثر ذهابا للشراء خاصة الأطعمة لأهل الدار .. فكيف يستطيع استدراجها ليستدرج عفريتا؟!

فلم يجد حيلة .. إنها لا تخرج ليلا ، ولا حتى عفريت .. والفتك في مدينة في وضح النهار من الصعوبة بمكان ، وهو لا يريد اغتيال النساء في هذه المعركة لا ضرورة لذلك ..ويريد القضاء عليهم قبل عودة عدنان مرة أخرى.

تقمص شخصية الأعمى المتسول ، وطرق البيت طالبا المساعدة والطعام ، فأعطته الجارية قطعة خبز ، وصرفته فطرق الباب التالي ، وفي اليوم التالي فعل كاليوم السابق طالبا الطعام فأعطي كسرة خبز ، وعاد إليهم في اليوم الثالث ، فقال له عفريت: أنت يا شحاذ لا تعرف التسول إلا في هذا الحي .. كل يوم كل يوم .. اذهب إلى حي آخر .

قال المتسول برنة حزن وغضب في نفس الحين : أنا أفر على جميع البيوتات يا سيدي .. أنا أعمى يا سيدي .. أتجول على كل البيوت ..أنا أعتذر عن مضايقتك

- من يتركك في هذا الحي ؟

- أحد الناس .. كل يوم استعين بأحد الناس .. فيتركني في أول الدرب هل هو نفس الحي ؟ دلني أو أتركني على مدخل حي آخر

- فليأخذك القائد لك إلى حي غير حينا

لما خفت الرجل والحركة في الحي دخله عمر بكر بزي شرطة يركب حمارا فطرق الباب ففتحت الجارية فقال لها بقوة : أين سيدك أم أنت سيدة البيت؟

- لماذا ؟

بنفس النبرة القوية قال : لقد آذى رجلا أعمى يتسول في هذا الدرب ، واشتكى الرجل عليه

ظهر عفريت كعادته من وراء المرأة وأزاحها من أمامه وقال ساخطا : المتسول شكاني لكم

- نعم ، أيها السيد وهو الآن في ديوان العسس ، فاركب هذا الحمار ـ ونزل عنه ـ لتصالح الرجل فقد قطع القلوب بالبكاء والشكوى

- في الصباح أيها الشرطي

- لي ساعات ابحث عن البيت هيا قابل أمير الشرطة

- انتظر

- أرجوك لا تتأخر سيتهمونني بالتلكؤ والتقصير في البحث عنك .. ادفع بعض الدراهم للأعمى سينسى الأذى الذي أصابه

دخل عفريت وغير ملابسه وعاد فقال له الشرطي : اركب حمار العسس حتى لا تتعب .

فقال عفريت : سأمشي مشيا أيها الشرطي .

- وأنا سأمشي اتبعني . وأغلقت الجارية الباب لما خرجا من الدرب ، ومشى الفارس أمامه دون كلام حتى دخل غابة فقال : سنقطع هذه الغابة لنختصر الدرب .. يبدو أنكم أغراب لستم من أهالي البلاد .

- كيف عرفت؟

- من لهجتك ، لأهل المدينة لكنة معينة .. ونلفظ بعض الحروف بنبرة مميزة لم المسها فيكم .

مشيا في درب مطروق وسط الغابة وقال: لماذا ضربت الأعمى المسكين؟

- أأنا أضربه ؟! ما ضربته رفعت صوتي عليه فحسب

- هكذا قال لأمير الشرطة ؛ وكأنك منعته من طرق البيوت طلبا للإحسان .. واعتديت عليه بالضرب ..وأن الجيران يشهدون بذلك

صاح عفريت غضبا : هذا كذب .. افتراء .. أنا أضرب رجلا أعمى .. إنه يطرق بابنا كل يوم

طالبا الصدقة .. نهرته فقط ..ما هكذا الشحذة أيها الشرطي ؟!

قال الشرطي المزيف : هذا الكلام ستقوله أمام أمير الشرط .. لو لم تصحبني لأرسل إليك فرقة من الجند ليقتادوك

– أنا لم اضرب الرجل ..وسأدفع له المال .. واعتذر له .. إنه يكذب عليّ سامحه الله

وبينما هو يقول جملته الأخيرة كان خنجر عمر بكر يغمد في صدره ثم بطنه ، وصاح الرجل ، وخر إلى الأرض يصيح ، ويقول : لماذا غدرت بي يا خائن؟!

– اطمئن يا سيد عفريت .. هذا خنجر الملك هشام وابنته الأميرة هند .. ظننت بقتلك الأمير والهرب النجاة .. أنا يد الملك يد العدالة .. أقول ذلك لتموت مرتاحا .. وسيلحق بك سيدك حفص عن قريب.. نحن معكم من مدينة أروى .. أنسيت قتلك للأمير أسد سيدك وابن ملكيك ؟ أنسيت دورك الخبيث يا خبيث النفس ؟

– أنت من مدينة نجوان ؟

– أنا الأعمى الذي طرق بيتك ثلاثة أيام ! أنا الانتقام .. الغادر ينال عقابه !

– أنا عبد سيدي حفص هو الذي أراد اغتيال الأمير أتقبل أن يرفض عبدك ؟ وإذا رفض سيقتل

– لا مجال للاعتذار ..لقد سبق السيف العذل .. وسيعلق رأسك ورأس سيدك في مدينة نجوان أيها الخونة .. ألك شركاء يا مجرم ؟ هل لإخوته مشاركة في المؤامرة ؟

– قالوا بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين ..هذا جزائي .. بعض الجواري ساعدتنا ، وبعض الحرس .. سأترك للأمير أن يذكرهم لك ..أتحمل وصية مني قبل موتي ؟

– تكلم

– لي أم في نجوان تعيش في قصر حفص بلغها السلام .. وقل لها أن تسامحني ؛ لأني لم طع أمرها لقد حذرتني من التآمر مع الأمير لقتل ابن عمه .. لقد عرفت غدر الأمير وقوة حقده .. نعم ، لم اسمع كلامها ، ظننت ذلك خدمة للأمير .. وطعنت أسدا عدة طعنات كما طعنتني الآن .. كنا نريد الصلح على دم الأمير .. فالملك ضعيف وسقيم .. ولم نحسب حساب الأميرة هند

وغضبها .. أنت من رجالها ؟

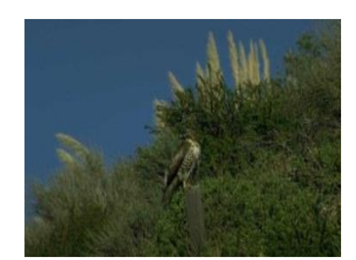
– نعم ، أنا من فرسانها .. لقد تبعتكم لأروى ، ولما ذهبت لأخبار الأميرة بمكانكم وجدتكم قد انتقلتم إلى هنا . وانهال عليه طعنا من جديد حتى خمدت أنفاسه وهو يصيح : مت كالكلب حتى لا تتعذب من الألم.

– لا تنسى وصيتي ، وقل للأميرة أن تغفر لي

– سأنقل وصيتك .. ألديك وصية أخرى ؟

– لا . وشهقت روحه لبارئها

ولما تأكد من موته غادر الغابة ، وترك الحمار فيها



حين لم يرجع عفريت للبيت تلك الليلة ، ذهب حفص تصحبه زوج عفريت إلى ديوان الشرطة يتحرى عن صاحبهم ، فعلم أن لا أعمى شكى ، ولا أرسلوا شرطيا إلى ذلك الحي ليلة أمس ، ولما علم قائد العسس أنهم غرباء عن المدينة ، وعدهم بالاهتمام والبحث عن زوج الجارية نورا

اشترى حفص أطعمة وهم عائدون للبيت وقال للجارية: ما القصة بالتفصيل؟

بكت الجارية وقالت بعدما هدأت : لا أدري يا سيدي ! أحس أن فقدنا عفريتا ، وأن خصومنا وصلوا إلينا ..كان الرجل الضرير يطرق الباب صباحا بطلب لقمة عيش .. وفي اليوم الثالث نهره سيدي وطلب منه عدم المجيء إلى بيتنا ، وفي الليل جاءنا شرطي يطلبه لديوان الشرطة مخبرا لنا أن الأعمى شكى عليه ، فذهب كما قال لك لتسوية القضية ..فالأمور لا توحي بخداع فالأعمى له أيام يتسول في الحي ..وهذا ما جعلنا نصدق الشرطي المزيف ..

قال الأمير بحيرة : إني قلق ! كما رأيتِ وسمعتِ أمير الشرطة في المدينة نفى شكوى الأعمى علينا .. الأمر مزعج نحن أغراب في هذه المدينة .. وليس لنا إلا وقت قليل فيها .. وعدنان يحتاج لشهر ليعود إلينا ..كيف سنبحث عنه وأين؟!

– لا أعداء لنا هنا يا سيدي .. نحن جدد هنا .. ومن يطمع فينا ؟ وما دام الضرير لم يذهب للشرطة .. فهناك مكر فهناك خداع!

– هذا ما أفكر فيه من يخدعنا؟ من يمكر بنا في بلد غريب ؟ ونحن لا نختلط بالناس.. أتظنين أن خصومنا وصلوا إلينا بعد كل هذه الشهور ؟! فقد أخبر عدنان الربان أن الأميرة أرسلت أناسا سرا للبحث عنا طمعا بالزواج منها

قالت بتفكير : حسب أخبار عدنان أنهم لا يعرفون من تحرك للبحث عنا ؟ وأنا أعرف سيدتي الأميرة حق المعرفة .. فهي قوية ولا تستسلم بسرعة .. تقاتل إلى آخر ساعة .. فقد خدمتها عشر سنوات ..ولكني لا أعرف أن لديها رجالا يطيعونها طاعة عمياء!

فقال مثنيا على الجارية : لن تخلو الدنيا من الشجعان أيتها الجارية الشجاعة ..كان دورك كبيرا في اغتيال ابن الملك وشفيت غليلي ..ولكني اعتبرها الغلطة الكبرى في حياتي ..ذلتي تلك الطعنة جعلتني هاربا متخفيا

فقالت مبررة مشاركتها في الجريمة الملكية : لولا حبي لعفريت ما تجرأت على خيانة مولاتي غلب حبه حبي للأميرة .

– نعم ، كان عفريت عاشقا ومحبا لك .. وهو قدر الحب الذي بينكم وتزوجك كما وعدك .. وهو صديقي الوحيد في الدنيا ، إن حياتي في خطر مالم يظهر عفريت .. لذلك سأختفي ، ولن أرجع إلى البيت معك .. فالأمر كما فكرنا لابد أن فيه رجال الأميرة هند .. فهي مصممة على قتلي ، وقد رضيت بأن تتزوج عبدا من أجل أن يحقق لها الانتقام ..وأعتقد أن عفريتا قد أصابه سوء يا نورا سأختفي في بيت آخر ، وبعد يومين نلتقي في السوق الكبير قبل الظهر ، وسيكون على منكبيّ عمامة خضراء دون لبس محمولة على الكتفين ، وأنت تضعين شالا أخضر حتى نستدل على بعضنا أثناء الدوران في السوق ؛ فإذا عاد عفريت ونجا من المكيدة كان ذلك الخير نجتمع ونرتب أمرنا ، ولما يحضر عدنان ، ولم يظهر عفريت رتبي لي معه لقاء في السوق .. فالأمر جد خطير عودي للبيت .. وحافظي على زوجتي وجاريتي .. ريثما نفهم ما حدث يا نورا ..

وحتى يأتي عدنان سنلتقي كل ثلاث ليال مرة .. واللقاء الأول بعد يومين في السوق والمال تعرفين مكانه فأحضري بعضه في اللقاء القادم.

- استوعب الأمر يا سيدي .. أنا جاريتك المخلصة لك حتى الموت

- قبل الظهر عندما نرى بعضنا تتبعينني حتى اسمح لك بالحديث معي .. نحن كلنا في خطر يا نورا .. عندما يأتي عدنان سيكون لنا كلام .. وسنكلف رجالنا بمعرفة من يطاردنا من أعوان الأميرة .. فوجود أعمى وشرطي مزيف تدل على مكر كبير يراد بنا .

غصت بالبكاء وهي تنصرف: لقد نصحتك يا مولاي بعدم قتل ابن الملك!

- قال لي عفريت ذلك ، لقد أغواني الشيطان .. كان رفض برة ساحقا لي .. وزواج الأمير منها كان مذلا لكرامتي أمام السادة والفرسان .. كان الأمر صعبا على النفس .. وأنت تعرفين لواعج الحب .. أحببتها حبا عاصفا .. ولولا حبك لعفريت ما قبلت بالتعاون معنا لدخول القصر .. فالحب فتاك .. عرف الناس بعشقي لبرة ، والأمير عرف ؛ ولكنه عشقها نكاية بي .

تنهدت حزنا وقالت : علينا أن نكمل المشوار أرجو أن يكون عفريت حيا .. إني أحبه حتى الموت .. سأموت إن كان ميتا

- إذا مات علينا أن ننتقم لموته .. ننتقم من قاتله .. هذا الصواب .. لا نموت دون الثأر له .

- أننتقم له ممن يا مولاي من الأميرة ؟!



جثة عفريت

كان عمر بكر بعد التخلص من عفريت يفكر بحيلة جديدة يصيد بها حفصا قاتل الأمير أسد بن هشام ، وذكرنا أن الرجل استأجر بيتا في نفس الحي ، وكان منه يراقب بيت حفص بن هاشم ولاحظ أن الشرطة بعد يومين من حادث موت عفريت جاءت بيتهم ، وأخذت المرأة الجارية امرأة عفريت ، فتبعهم خفية ، وهو يعلم أين يسوقون الجارية ؟ كانوا يذهبون بها لديوان الشرطة ودار الشرطة ، وقد أدرك أنهم وجدوا جثة زوجها ، فيريدون التأكد من هو صاحب تلك الجثة ، فهي أخبرت الشرطة من يومين باختفاء عفريت ، فقد وجدت الشرطة إحدى الجثث مطعونة بعدد كبير من الطعنات في إحدى غابات المدينة ، وجدها مجموعة من الصيادين فأخبروا العسس بها ، ورأت المرأة الجثة ، وتمرغت عليها حزنا وبكاء ونواحا وتقبيلا ، فقد كانت جثة من قتلت من أجل الزواج منه ، فلما سألوها عن الرجل الذي جاء يخبر عنه معها ، قالت سافر في تجارة له ، ولما أقسمت بأنها لم تتآمر على حياته مع ذاك الرجل ، وقابلوا زوجته وخادمته ، طلب منهم الإخبار عنه عندما يعود ، وأمر بدفنه ، ووعدها بالبحث عن قاتله أو قتلته ، وحضرت الجارية دفن صاحبها وحبيبها ، وشارك عمر بكر الدفن ، وأظهر تعاطفه مع الجارية ، وأعلمها أنه جار لها في الحي الذي تعيش فيه ، وكان عند الشرطة في شكوى عندما رآها تبكي وتصرخ ، وعرف أنها احدى الجارات في الحي ، وقال: أنا لي متجر بيع قرب هذا المكان ، أحدهم احتال عليّ فجئت اخبر الشرطة بأوصافه ، فسمعت حكايتك ، فذكرت أني رأيتك ، ثم عرفت أننا جيران .. فأنا في خدمتك يا سيدتي .. اسمي حلق الجمال . ورافقها للحي بعد الدفن ، ودلها على بيته ، فأثنت بدورها عليه ، وعلى عطفه عليها ، ودخلت بيتها مذهولة تتذكر حياتها وخيانتها لسيدتها لتنال قلب عفريت ، وكيف وصلت إليهم فرسان الأميرة ؟! وحطمت قلبها بعدما حطمت قلب الأميرة باغتيال شقيقها فقالت بأسى : لم يكن هنالك أعمى ولا شرطي إنهم رجال الأميرة دون شك .. لماذا قتلوا عفريتا قبل سيده ؟! فالقاتل الحقيقي حفص ، وإنما عفريت منفذ ومساعد الذي اتخذ قرار الجريمة الأمير حفص . لذلك انتظرت

بفارغ الصبر موعد السوق حسب ما رتبت بينها وبين الأمير .

ذهبت للسوق الكبير عند الظهر بقليل ، ولما دخلت السوق وضعت الشال الأخضر على كتفيها رأت الأمير بعمامته الخضراء منفولة على كتفيه ، تلاقت العيون تبعته حتى ابتعدا عن السوق ، ورأته يستظل تحت شجرة فارهة، فتقدمت حتى وصلت إليه فسلمت باكية بشدة ، فأدرك حفص موت عفريت ، وأن الأميرة هند حققت غرضها من أول قاتل ، فتحسس عنقه وليست سهلة تلك الأميرة ، وأنها ابنة الملوك من آل العامر ..وتركها تبكي حتى هدأت وحدها وقالت : عشرات الطعنات اخترقت جسده .. طعنات انتقام وحقد .. قتلوه يا سيدي وصلوا إلينا .. وحضرت دفنه

وروت ما سمعته من الشرطة والشك بقتله، وأنهم يرغبون بمقابلة الأمير لتبرئة ساحته فقال: الشرطة يجب أن تشك فينا .. ما دام لا أعمى ولا شرطي مزيف أمامهم .. لعبة خطيرة يريدون إعدامي هنا بقتله قبلي .. أرأيت الذكاء يا نورا ؟! لهذا قتلوا عفريتا

قالت: لا اعرف شيئا .. موته هدّ كياني يا سيدي الأمير

– يريدون تعذيبي أيضا ، وأن يقع الرعب في قلبي ؛ لذلك بدأوا فيه .. افكر بالعودة للبلاد

– نجوان

– نعم ، اسلم نفسي لقاضي المدينة .. الفرار كالأرنب أتعبني وارهقني .. فلما جاءت الزوجة زدت تعبا بدلا من الراحة .. أنا حزين عليه جدا ؛ لأنه صديق السنوات الماضيات يا نورا .. لقد وصلوا إلينا ..أحس أنهم قربي يسمعون حديثنا .. ماذا تقولين يا سيدتي ؟! فأنت صاحبة الذكاء المشهود .. الجارية المخلصة لنا

– القاضي ماذا سيفعل لك؟! هل غير إهدار الدم والموت ؟!

فقال بيأس : ألسنا ميتين يا نورا؟

– الاختفاء والخوف هما الموت كل يوم كل حين! رفض مولانا الملك الشيخ العفو عنك كما اخبر عدنان .. رفض سجنك اخبر أن الموت مصيرك ولا يرضى بغير ذلك .

- أموت مرة واحدة خير من أموت كل حين .

- لا يا سيدي ، عفريت مات ومات .. فعليك إذا أحببت البقاء حيا أن تخلع شخصية الأمير حفص ، وتقطع صلتك ببلادك إلى الأبد ، وتعيد زوجتك وجاريتك مع أول عودة لعدنان .. ولا تخبرها بقرارك الاختفاء عن نجوان إلى الأبد ؛ فبذلك قد تعيش ما قدر الله لك .. أنس أولادك وأهلك أمك وأباك .. هذا ما فكرت به لنجاتك .. ارحل إلى مدينة كبيرة من مدن الدنيا عش بدون ذكريات لأحد لا أهل ولا أولاد .

- يا لها من فكرة عظيمة يا نورا ! أأستطيع أن أعيش بدونهم يا نورا وبشخصية أخرى ؟!

- لك أكثر من عام بدون أهل وأب وأم وزوجة ، وبدون أمارة ومن غير تجارة .. الأميرة لن تتخلى عن دم أخيها .. وما دام قد وصلوا لزوجي فلسوف يصلون إليك .. اهرب إذا أحببت الحياة .. ابعد عن نجوان ومن فيها

- وأنت !

- لا يمكن مرافقتك ؛ لأني من نجوان .. سأبقى هنا

- أولادي

- تتزوج ، وترزق غيرهم

- دعيني أفكر مليا بهذه الفكرة الجليلة الملهمة

انصرفت الجارية ، وبعدما اختفت عن عيونه بزمن ، ابتعد عن ظل الشجرة ، وهو يقول: إذا أردت الحياة عليّ أن أبدأ من جديد .. هل تتوقف الأميرة عن مطاردتي؟!



رجع عمر بكر إلى نجوان ووجد خادمه سيف في شوق إليه وإشفاق على حياته ، فأرسله كالمرة الماضية إلى القصر الملكي ، وقابل الأميرة كمتظلم وعرفته فور رؤيته ، وذكرت له موعدا فغادر القصر ، وهو يود معرفة الأسرار بين الأميرة الحاكمة الفعلية للبلاد منذ مصرع شقيقها أسد وسيده جعفر .

ذهب الفارس للسوق كمن يريد الشراء ، ودخل دكان سمعان ، وزلف الحجرة الخلفية ، فوجد الأميرة في انتظاره ، ورحبت به ، وسمعت قصة قتله لعفريت شريك حفص في الجريمة ولما صمت ، قالت: لماذا بدأت به ؟!

فقال بهدوء: لا أدري لماذا لا تطاوعني نفسي على قتل حفص؟!

- أتخاف من لقائه؟!

ضحك الفارس وقال: لا ، إنه كالأرنب ، بل لما قتلت صاحبه اختفى ، لم يعد يأمن الجارية ، ولا حتى امرأته التي أرسل وراءها .. لو كنت أخافه أيتها الأميرة ما قبلت تنفيذ المهمة ، وقمت بمطاردته ؛ لكني أحب أن يموت بسيف القاضي .. جئت لأقول لك إني عاجز عن سفك دمه بيدي هاتين

قالت بحيرة: سيدي الفارس لم أفهم سببا لهذا الامتناع!

- نعم

- وضح

قال وهو ينظر في عيني الأميرة : عدت قبل قتله لأتشاور معك .. كنت المرة الماضية أطمع بمصاحبتك ، قلت لعلك تصرعينه بيدك .. فأسره ليس هينا أيتها الأميرة .. نعم ، جئت لأوضح الأمر ، وسبب ترددي في إهلاكه

- تكلم

قال بهدوء : لأنه ابن عمي أيتها الأميرة !

حدقت في عينيه بقوة ، وبعد صمت عميق قالت باستغراب واضح : ابن عمك ! ماذا قلت ؟! أنا ابنة عمك إذن!

- أنت أختي.

زاد تحديقها ودهشتها وحيرتها ،وقالت بغضب وحيرة: أنا أختك ! أجننت أيها الإنسان؟!

- لا ، هذه هي الحقيقة حسب اعتقادي .. هذا الذي دفعني لافترس عفريتا بداية .. فهو لم يمت

لنا بصلة قربى .. أما حفص فأريد القاضي أن يقتله.. نحن أبناء عم جدنا واحد .

صاحت فيه :أيها الشاب ماذا تهذي وتهرف؟!

- هل يقتل الإنسان ابن عمه كما فعل ابن عمنا ؟!

- أكاد أُجن ..أسمعني حكايتك .. القرابة التي بيننا .. الآن بدأت أفهم صدك لحبي لك دون الناس ، والقبول بي زوجا.

قال بنبرة هادئة وموضحا : نعم ، نحن أخوة أيتها الأميرة .. أنا والدي الملك هشام مثلك ، وأمي جارية من جواري سيدي الملك ، كانت أمي جارية اسمها شمس ، أحبها الملك قبل خمس وثلاثين سنة ، واتخذها سرية ، وكان يعاشرها معاشرة الرجل لزوجته ، ثم وهبها لأحد الشعراء المادحين له العابرين لبلاده ، ولما غادر الشاعر المدينة ساقها معه كما ساق هدايا الملك الأخرى ، وباعها الشاعر في مدينة أخرى ، ولما استقرت عند سيد جديد علمت أنها حامل من مولاها الملك ، فلم يقربها الشاعر ، ولا السيد الجديد ، بل فرح وسعد بحملها وشرائه لها ، فهو كسب مولودا عبدا دون مال ، وكنت أنا هذا الحمل ، وأكرم السيد الجارية حتى وضعت الطفل ، وأصبح رقيقا للسيد عمار ، وهكذا عشت في كنفه خادما رقيقا لهم حتى بلغت خمس عشرة سنة وكانت أمي تموت ، فكشفت لي سر مولدي ، ومن هو والدي ؟ وماتت بعد ذلك وبكيت وأنا استغرب مما تفوهت به عند الموت .. وهل أصدق أني ابن ملك ، ومن صلب ملك ؟! وأن أمي جارية له ، ونحن منذ ولدت ونحن نعيش في كنف السيد عمار ، صعب عليّ تصديق ذلك أيتها الأميرة ، وعملت في الرعي للسيد طول هذه السنين ، وكانت له خيل يبيعها للسادة ، فكانت صداقتي للخيل قوية ، فتعلقت بها ورعيتها ، ومن خلالها تعلمت الصيد مع أبناء السيد ، ومن وجودي في البراري والوديان .. وبقيت في حيرة مما تفوهت به أمي ، ولماذا لم تعيدني للملك ورضيت لي العبودية ؟ لم يكن هناك وقت للمحاورة في دوافعها للصمت .. ألعلها خشيت تكذيب الملك لها؟! وقد يكون السبب أن الرجل حررها بعد ولادتي ؛ ولكننا عشنا معهم كخدم وعبيد .. فلحقت بجند المدينة ، وتعلمت الفروسية وتقدمت على أقراني ، وخضت المعارك مع

جند البلاد إلى أن أسرت في معركة دامية ، ولم يهتم لأسري أحد ، ولم يقوموا بدفع فدية عني ، فعرضت نفسي على سيدي الجديد عاملا له خادما لأنال الحرية من جديد ، وحصل ذاك بعد سنوات ، فجئت إلى هنا إلى نجوان موطن ومدينة أهلي ، ودفعت للنخاس ما تبقى معي من مال ليبيعني إلى رجال الملك هشام .. لأستطيع أن ادخل القصر وأقول للملك إنني ابنك من جاريتك ؟! احتاج إلى فرصة عملت كعبد في القصر وأملاك القصر .. وكنت أخبرت قيم القصر على قدرتي على رعي البقر والخيل ، فجعلني بعد زمن راعيا للخيل الملكي ، والتقيت بك عندما كنت تأتين لمراقبة الخيل وتفقدها وأشفقت عليّ وعطفت عليّ مع أنني مجرد عبد في نظرك .. فهذه قصتي أيتها الأميرة .. لهذا أيتها الأميرة الباسلة وعدتك أن أكون الخادم المطيع قلت أعيش بقربكم لعلي استطيع أن أجد طريقة تعرفون أنني منكم ، وتحمست لمَ كلفتيني به ، ووفقت بفضل الله إلى الوصول إليهم ؛ ولكن نفسي توقفت عن الفتك بابن العم الخائن مع أنه غدر بأخي.. لو نتبارز لربما كان قتله أهون على النفس من القتل غيلة .

ران الصمت طويلا في الغرفة ، ثم قالت: أنت أخي .. الدم يتكلم .. كنت عندما ادخل حظيرة الخيول أحب أن أراك خاصة دون باقي السياس لا أدري ما السبب ؟! لم أكن استطيع تفسير ذلك .. ولم يكن وصفه بعاطفة امرأة برجل للفرق الكبير بين سائس الخيل وابنة الملك لكن قلبي كان يضطرب كفتاة عاشقة كلما أراك .. أصدقت أمك أيها الشاب؟!

– ولماذا تكذب عليّ في آخر ساعات العمر؟

– ولماذا لم تعد وتعترف لأبي؟!

– وهل تستطيع جارية تباع وتهدى أن تقول ذلك لملك ؟! كان أمر العودة صعبا عليها ، وهي الخادمة الأمة طول عمرها ، حتى لو تحررت كانت كعبدة ، والتنقل بطفل بين البلاد ليس بالأمر الهين .. وهل سيقبل الملك كلامها ويعتقد أن الحمل منه؟! هو لو يعلم بحملها ما تخلى عنها فالجواري كثر .. ويبدو أن الشاعر رآها بحضرة الملك فرغب بها .. فوالدك اتخذها سرية فوضع الجارية صعب

- أجل من الصعب الاستسلام لكلامها .. خاصة أن بعض الجواري تمكن من نفسها بعض العبيد أو حتى الحرس إذا كان بينهم إعجاب .. هذا لا ينكر

استمرا ينظران ويحدقان في وجوه وأعين بعضهم لزمن طويل يفكران بصمت وعمق ، ثم تمالكت الأميرة نفسها وقالت: أتعرف صفة امك ؟

- نعم ، عشنا خمس عشرة سنة سوية

قالت : ستصفها لأبي الملك هشام ؛ فإذا أقر بهذه الصفات ، وأقر بمعاشرته لها كزوج وسرية ؛ فنكون حققنا نصف الحقيقة ؛ فأنا مصدقة لمَ قلت ؛ لكن هذا لتكون ابنا للملك لا يكفي يا عمر بكر .. أنت ترى قول أمك عند موتها لابد أن يكون الحقيقة

ـ وهذا الذي دفعني لعدم قتل ابن عمي حفص .. ليس الجبن والخوف رغم غدره وخيانته لابن عمه أسد

ـ إني أعذر ترددك .. إذن لابد من أسره ومحاكمته أمام القاضي .. كيف ستحقق ذلك أيها الفارس؟!

- لن نعجز عن تحقيق ذلك أيتها الأميرة

تنهدت بحيرة وقالت : وضعتني أيها الشجاع في أعظم معضلة!

- كان لابد أن أتكلم ، قد جاءت الفرصة التي جئت البلاد هذه من أجلها أيتها الشجاعة .. وحتى لا تتعلقي بي تعلق النساء بالرجال .. نحن تجمعنا أخوة الدم والنسب .. فالأخوة علاقة نبيلة وصادقة

- أكيد أيها البطل .. سأرتب لك مقابلة مع الملك مقابلة خفية .. أنت عند قيم القصر هاربا آبقا مهدور الدم

- ادخل عليه بهيئة صياد

- فكرة كبيرة صياد .. سأتركك الآن .. نلتقي بعد أيام ؛ لنرتب للقاء مع أبي الملك أو نؤجله

حتى تتحسن صحته .. فهو عليل هذه الأيام .. فأبي اتخذ العديد من السرايا طمعا بالولد فأمي سرية يا عمر بكر مثل أمك ثم اعتقت .. وشمس هذه أنا لا أعرفها لأني لم أكن حية ترزق ، كانت قبل ظهورنا للدنيا

ـ نعم ، ولدتني قبل خمس وثلاثين سنة ..كم بيننا ؟

– مضى من عمري عشرون ربيعا

– أزيد عنك بخمس عشرة سنة ، ولست طالبا لملك وحقوقا ملكية ، وسأبقى أعيش مغمورا إنما صرحت بالحقيقة لأعرف لماذا ألقت أمي سرها عند موتها ؟! أرادت أن أعرف أبي وعشيرتي وهل أحست أني قد أكون ذا نفع لأبي أمام الموت ؟! أحبت أن أعرف ابن من أنا ، لم تستطع إخفاء هذه الحقيقة الكبيرة ، لم أصدق ذاك يومها .. لماذا نطقت بهذا السر ؟! كنت أظن أنني ابن سيد من الأسياد .. من هو ؟! كعبد لا يهمني الجواب .. فالجارية يتقاذفها الأسياد لقضاء شهواتهم وأوطارهم ، ثم تباع تهدى .. فلا يفكر العبد بمن هو أبوه ؟ ولم ير أباه ، ولم يتعرف عليه الأب ما دامت أمه أمة تتنقل بين الأسياد لحسنها .

– حق ما تقول ؛ لكنها قالت من أبوك ؟! وذكرت قصة الشاعر الذي نزل ضيفا على ابن العامر الملك ونال جائزته.

ـ نعم ، ولما سألتها عن سبب صمتها الطويل ، قالت : حاولت نسيان ذلك كل هذه السنوات وأن تعيش كسائر الخلق.

– ألم تتزوج أيها الشجاع ؟

– ملكت جارية كسبتها في إحدى المعارك ، ثم اختفت ، ولم ابحث عنها أو خطفت لست أعلم.

– ألك أخوة من أمك ؟

– لا ، كان اتصال الرجل بأمي قليل فهي جارية من عشرات الإماء .. فالشاعر الذي وهبت لها لم يعاشرها قط كما قالت لي .. وهو الذي أكد لأمي أنها حملت بي من الملك .. ربما من أجل ذلك

لم يقربها وباعها بعد أن هويها .. فهو شاعر متجول على الملوك سيجد غيرها وغيرها.

قالت : سنجد حلا لهذه المعضلة أيها الشجاع .. ويسرني جداً أن أجد لي أخا بعد موت أخي الوحيد

- أرجو ذلك ، وكما قلت لست طالبا لملك وحقوقا ملكية .. أتأكد من نسبي وسأبقى مغمورا راعيا للخيل وابن جارية من جواري الملك

قالت بعطف : إذا ثبت النسب سيسر والدي ، وسيفرح وهو في هذه السن أن يجد ابنا ذكرا حتى ولو من جارية ؛ فإذا أثبتنا ذلك ، فسيكون أمرا عظيما لنا .. والإثبات مهم من أجل القبيلة والبلاد .

- نعم ، هذا حق ..أترين أننا سنجد حلا؟!

قالت بحماس ظاهر : بالتأكيد .. الله أراد ذلك.. فسيسهل الأمر علينا .. وحتى لو لم نستطع إثبات النسب أيها الشجاع ستكون من المقربين للأميرة هند

- ولكن الأميرة السعيدة ستجد لها بعلا ذات يوم .

- وسأجد للفارس الشجاع عروسا تليق به .. اصبر أيها الشاب اصبر

- سأصبر يا مولاتي سأصبر

- أيام ونلتقي .. فنحن صرنا أكثر من الأخوة .. لولا المهمة الملقاة على عاتقك لصحبتك إلى القصر .. شكرًا على قتلك لعفريت لقد كان يد حفص وشيطانه يا عمر بكر.

- نعم ، أضعفت الأمير بسفك دمه .



الجارية شمس

دخلت الأميرة القصر فارتبكت عندما اخبرها قيم القصر أن والدها طلبها أكثر من مرة ، فهرعت إليه مسرعة بعدما غيرت ثيابها ، دخلت الحجرة الملكية كان والدها مستلقيا على سريره وبجواره أمها وبعض الخدم ، فقبلته من رأسه ، وسمعت خادم أبيها يقول للملك : الأميرة يا مولاي الملك !

فتح عينه بقوة وقال: هند حبيبتي هند لم تذهبي للديوان ارسلوا حاجبا

قالت مطمئنة الوالد : كنت في الديوان قبل قليل .. عملت جولة تفقدية في السوق الكبير .. علمت أن بعض الأشياء تباع بسعر مرتفع .. لا أحب ذلك التلاعب .. وأنا بين يديك .. بأس ويزول عنك .. أراك الطبيب هذا الصباح ؟

قال بضعف ظاهر : أحس أن الموت يقترب يا بنية ، يجب أن تكوني ملكة قبل موتي ، حتى لا ينازعك أحد التاج الملكي .. أنت بقية السلالة حتى يكبر أبناء أسد .. هناك متربصون ما زلت أعتقد أن أسدا قتل لتغيير الحكم والسلالة الملكية .. فأنت ستكونين أول ملكة تحكم في بلادنا

وأيد السادة الحاضرون كلام الملك الواهن ، فبعد صمتهم قالت: أمهلوني بضعة أيام أيها السادة الكرام أنا لا اعتراض عندي على اعتلاء سدة العرش ؛ وكأنني ملكة خلال العام الفائت .. وكنت مقدمة الثأر على التتويج الرسمي .. لا يجب أن يذهب دم أخي هدرا أو صلحا على القاتل أن يقدم للقضاء والقصاص .

قال أحد الأمراء: سيحصل هذا عاجلا أم آجلا أيتها الأميرة ، عندما يقبض عليه سيقدم للقاضي دون تردد وينال الحكم العادل

- أتسمحون لي بخلوة مع مولاي الملك

انسحب القوم رويدا رويدا فلما خلت الحجرة اعتدل الوالد بمساعدتها جالسا : ما الخطب أيها الأميرة؟!

دخلت مباشرة في قضية عمر بكر فسألت : هل تعرف جارية قبل سنين طويلة اسمها شمس

قبل خمس وثلاثين سنة ؟

- يا إلهي عهد بعيد ! ثم فاجأ الأميرة قائلا: وهل أنساها كانت من أعز الجواري في القصر؟!

- ولماذا وهبتها لأحد الشعراء؟!

تنهد وقال متعجبا : آه ! ومن قال لك هذه القصة البعيدة ؟! لولا معزة تلك الجارية وذكرياتي معها لنسيتها ، ونسيت ذاك الشاعر .. إنها قصة قبل أن تري نور الشمس ونور الحياة .

- لماذا أهديتها لذاك الشاعر وهي غالية على قلبك واتخذتها سرية ؟

قال بدهشة : أعجب لمعرفتك بتلك القصة التي لا أذكر أن أحدا تحدث بها أمامي منذ سنين مضت .. السبب أنها أغضبتني تلك الأيام ، وكان الشاعر ضيفنا ، فتمادت في إثارة غضبي ، وحذرتها من وهبها للشاعر ، فلم تصدق ، ففعلتها ، تحدت غضبي .. كان الشاعر بقسام كان له صيت تلك الأيام ، وأظنه هلك ، فله عشرات السنين لم يقدم إلينا .

قالت بصراحة : أيمكن أن تكون تلك الجارية حملت منك ؟!

ظل صامتا مندهشا من الاستفهام ، ولما ظلت تنتظر جوابا قال: ما الخطب؟!

- أجب وستعرف الخطب يا والدي العزيز

قال بحيرة : لقد عشقتها كغيرها من الإماء ، واتخذتها كما قلت سرية وأنام معها ، لكن وهي عندي لم تحمل مني .. فقد عاشرتها أكثر من خمس سنوات ، ولم يحدث منها حمل.

- وهل تصدق أنها بعدما غادرت القصر كانت حاملا منك ؟

فقال بنفس الاستغراب : شمس وكيف عرفت هذا ؟!

- جاءني رجل قالت له وهي تحتضر على فراش الموت أن الملك هشام بن عامر والدك ، وأنه منذ وهبها للشاعر لم يمسها أحد خلال تلك الفترة .. أي رجل .. الشاعر لما عرف بحملها قال إنك حاملة من الملك وباعها في مدينة ، واستقرت عند ملاك كبير اسمه عمار ..أتكذب الجارية عند الموت يا أبي؟!

ظل الملك في حالة صمت وذهول ، ثم التقط أنفاسه : وأنت قابلت هذا الإنسان الذي يزعم أنه

من صلبي أهو ذكر؟!

- نعم ، شاب قابلته وجالسته قبل دخولي إليك.. عندما كان ابن خمس عشرة سنة عندما ماتت وقالت له هذا السر خطير . وقصت عليه قصتها مع عمر بكر ، وأنه جاء يتحقق من نسبه بعد هذه السنين من التردد والشك

- أيمكن مقابلة هذا الشاب أيتها الأميرة؟!

- سأرتب أن تقابله متنكرا يا أبي .. لا أحد يعرف أنه موجود في المدينة لأمر خطير بشأن مطاردة حفص الغادر .

وعادت تروي قصة تعقبه لحفص في أروى وسادة وقتله لعفريت شريك حفص في الجريمة وتردده في قتل حفص ؛ لأنه يراه ابن عم له .. فالقاضي أولى بإعدامه للرحم بينهم ، ولا يتحمل دمه أمام العشيرة

- شجاع هذا الشاب .. هل يكون مني يا هند ؟!

- سيأتيك بهيئة صياد بحري

قال : نعم ، يجب أن أراه .. أنا طبت من الوهن .. جميل أن يكون أخ لك يا هند ! قلبي سيعرف الحق عندما أنظر في وجهه .. فالقلب قلما يخطئ أيتها الأميرة .

رتبت الأميرة لزيارة الصياد البحري لقصر الملك ، ولما هيأت الأمور أدخلته على والدها في خلوة خاصة ، فلما رآه الملك قال: أنت ابن شمس ؟!

- نعم ، يا مولاي أخبرتني أمي أنها كانت جارية لك في هذا القصر ، وتسريت بها ، وأنها كانت معززة عندك ، ولها مكان في قلبك ، وأنك وهبتها لأحد الشعراء

عادت الذكريات للملك وقال : أجل كانت جارية غالية على قلبي ، وأسخطتني تلك الأيام ولم تعبأ بتهديدي لها بوهبها للشاعر ، فتحدتني فأعطيتها للشاعر ، وندمت ؛ ولكنها عطية ملك

- نعم ، قالت ذلك وهي تموت .. كنت شابا صغيرا ، وإن اعتقنا سيد المزرعة ؛ لكنّا كنا خدما وعبيدا ، قالت يا مولاي حاولت نسيان هذه الحقيقة ؛ ولكن ظل خيالك يأتيها في المنام واليقظة

إلى متى تظلين تكتمين سر الصبي ؟!

قال الملك معترفا : هل تعلم أن قلبي اضطرب عليّ منذ دخلت باب الحجرة .. اقترب دعني أضمك إلى صدري .

احتضنه الملك ، وداعب شعره ، وبكى ، ولما خفت ثورة الحنان قال : أحس أنك مني .. قلبي يقول هذا يا هند .. هلا احتضنت أختك يا عمر بكر .

تطلع الشابان ببعض ، وفعلا ذلك فقال الملك: أتحركت الشهوة بينكما ؟

فهما مغزى طلب الملك قال الشاب: أنا اعتبرتها أختي منذ جئت إليكم يا مولاي

قال الملك : يا عمر بكر صف لي أمك التي أعرفها.

ذكر الشاب صفة أمه الخلقية . فصاح الملك والدموع تنسكب على خديه : إنها شمس التي عرفتها يا هند .. كيف سنقنع القوم بأنك من صلبي يا بني ؟

- اعترافك أن هذا ممكن ، وأنه يمكن أن تلد شمس منك يكفيني هذا ..لا أريد حقوقا ولا مناصب .. سأبقى حاميا لهند وسائس الخيل .. ولا داعي ليعرف أهل المدينة يا مولاي .

قال الملك معترضا : أنت الآن ابن ملك ، وعلى أهل المدينة أن يعرفوا هذا

- هل أرحل ؟!

قال دهشا : ترحل! لا ، سأجد طريقة يعرف الناس أنك ابن ملك ومن صلبي ؛ لكن سأصرف عنك لقب الملك ، وستعين هند ملكة حتى يكبر ابن أسد ؛ ليستقر الحكم في أسرتنا يا عمر بكر

عاد عمر بكر يقبل رأس الملك وقال باكيا: هذا لحظة من لحظات السعادة يا مولاي!

- هند ما تقولين؟!

قالت بحب واضح لهما : إنه أخي . وحدثته عن اضطراب قلبها له كلما تراه في حظيرة الخيل أشهر الوزير الأكبر لمدينة نجوان تنازل الملك هشام عن كرسي الملك لصالح ابنته هند على أن تبقى ملكة البلاد حتى يصبح هيثم ابن المغدور أسد في عمر تؤهله لقيادة البلاد والتربع على

كرسي وعرش الأجداد من عدة قرون ، وتعين يوم للاحتفال بالتتويج الملكي للأميرة هند بنت هشام.

وانشغل الناس بعد هذا البيان بمن سيكون زوجا للملكة ، ولما علمت الأميرة بهذا النبأ أعلنت أنها تؤجل الاقتران بأي رجل حتى يبلغ الأمير هيثم سن العقل ويستلم الملك نيابة عنها ، وفعلت هذا حتى لا يطمع أمير أو قائد بالزواج منها.

وكان من ضمن المقربين من الملكة الجديدة الفارس عمر بكر الذي صار مرافقا دائماً لها ، مما أثار ريب ودهشة للأمراء من سائس خيل هرب ، ثم عاد ؛ ليكون مرافقا وحارسا للأميرة ، من عبد رقيق ابتاعه أهل القصر من سوق النخاسين إلى هذه المرتبة .

ولما توجت هند ملكة رتبت الملكة الجديدة مع عمر بكر ووالدها أن يجلبوا قائفا من البادية ليثبت نسبه للملك أم لا ، وهذا أمر مقبول في تلك الأزمن ، فلما وصل القائف المدينة رحبت به الملكة هند ، وأدخل على الملك دون أن يعرف أنه شخص الملك ، وعاينه وعاين عمر بكر بحضور الملكة والوزير وبعض السادة الذين اطلعوا على جلية الأمر ، فحص الرجل الأقدام والأيدي والمناكب وبعد تأمل دقيق قال ـ وأشار للشاب ـ : هذا الرجل من هذا الرجل أيها الأسياد . وذكر علامات تجمع بينهما .. ففرح الملك ، وتعانق مع ابنه وقال : ما أعظم الرب !

وعانقت الملكة أخاها ، وهنأ الوزير الملك والأمير بهذا النسب ، وجمع الملك المخلوع أعيان المدينة وتكلم القائف بمهمته الكبرى ، وروى الفارس قصة أمه شمس ، وعرف أهل المدينة السر والعلاقة الخاصة بين الملكة والفارس عمر بكر

وكان إحضار القائف من البادية ذكاء من الملك والملكة ، فهم مقتنعون بأن الفارس ابن الملك من ظروف وأحداث القصة ، لا يمكن أن يأتي رجل بعد خمس وثلاثين سنة يزعم أنه ابن ملك بدون معلومات تفصيلية.

واخبر الملك الرعية بقبول بنوة الفارس عمر بكر ، وأنه من صلبه يرث ما ترث هند ، وإنما حرمه التربع على العرش حتى لا يطمع طامع بالملك ، ويشكك في نسب الفارس عمر بكر ، وأنه

يستعد لتزويجه من كريمات وبنات الأمراء ، وطلب من الوزير ترتيب مثل هذا الزواج.

وقدمت الهداية من الأسياد للأمير الجديد ، وأعطي القائف هداياه من الأنعام ، وغادر البلاد إلى باديته بعد انتهائه من المهمة الدقيقة مع إبله ، وعلمنا وعلم الناس من هو عمر بكر ، واستمر مرافقا وحارسا للملكة عندما تذهب للديوان في الصباح ، ويعود للقصر معها عند الظهيرة ، وكانا يقضيان المساء عند الملك المريض.

وكانت الملكة تحادث والدها عن أخبار المملكة فقال لها: أين أخوك؟! كانت تلمس تعلق والدها القوي بابنه وترى السعادة عليه كلما يجالسه .

- ذهب لحجرته يا مولاي الملك

قال : بعد هذا الذي فعلناه أتشكين بأخوته لك؟!

- أبدا يا أبي ! أدرك وأعي بأنه أخي فعلا

قال : كيف ؟

- فكلام القائف نفى أي شك يراود النفس ، والرجل لو كان محتالا وغشاشا لانكشف أمره لسنا بهذا الغباء ، فهذا فعل خطر ، ولماذا يغامر هذه المخاطرة ؟! وماذا ستعود عليه به هذه المخاطرة؟ وهو كما صرح قضى عشرين سنة مترددا في كشف الحقيقة .. وقد ازهق روح عفريت دون تردد وتوقف عن قتل ابن عمنا غيلة للرحم والدم وتركه للقاضي .. وهذا الموقف يؤكد صلته بنا يا أبي ما الذي في ذهنك؟

قال : قصة شمس يمكن لأي شخص أن يعرفها من شمس نفسها ؛ لكنه وصف أمه خير وصف .. والقائف أزال أي ريب في قلبي .

- الحمد لله .. حسبت أن أحدهم أثار في قلبك ريبا

قال : يحاول بعضهم ذلك .. لهذا تكلمت معك بهذه الهواجس

- لو كان محتالا لقتل حفصا ، وتزوج مني يا أبي .. لا تنسى هذا أيضاً.

- معك حق ، وما احتاج للقرابة التي بيننا .. أنا لا أريد بعد موتي أن يطعن أحد بنسبه .

قالت : لقد تكلم عن الأخوة التي بيننا بعد مطاردة حفص وعفريت ، ولو لم تكن حقيقة عنده لنسيها ، بل لما أعجبت به كفتاة ورجل شجاع ، تحدث عن الأخوة ، ولم يتلهف لمثل هذا زواج وغرام

- رفض الزواج

قالت : أجل يا أبي قبل أن يبادر بمطاردة حفص الغادر .. قال أطيعك ، واعمل على الانتقام بلا زواج.

- بارك الله فيك يا بنية اطمئن قلبي أكثر بعد هذا اللقاء .. ماذا ستفعلون بشأن القاتل؟!

- سيختفي ويذهب إلى سادة ؛ لعله يتمكن من أسره ونقله إلا هنا ليقف أمام القاضي .

قال قلقا : فهل نسمح له بالذهاب بعد أن صار ابنا؟!

- يقول الخطر عليه هنا أو في مغامرة .. والموت واحد

قال : إنه شجاع .. رحمك الله يا شمس حرمتيني كل هذه السنين من فلذة كبدي .. لقد فتنت بها يا هند عندما أُتي بها هذا القصر لأول مرة .. كانت حبيبة على النفس وكنت شابا وهي حسناء من جميلات القصر .. الأمر كله لله رب العالمين

- نعم ، كله لله رب العالمين .

اختفاء حفص

سافر الأمير عمر بكر خفية إلى سادة لأسر الأمير حفص والانتهاء منه ، وتفاجأ أن بيته مسكون بعائلة أخرى ، وأخبره المستأجر أنه استأجره من مالك البيت ، فقابله قائلا: ألم أدفع لك أجرة شهور ثلاثة ، وقلت لك إني تاجر وأسافر مع السفن .. أعطني المال.

فقال المؤجر : غلب على ظني أيها السيد الكريم أن غيبتك قد تطول أكثر من ذلك ، قلت استفيد من تأجيره قبل أن ترجع ، ولم أجد في البيت إلا فراشك ومصباحك .. في الحي بيت فارغ هجرته المرأة بعد مقتل صاحبها لعلك تذكر قصة تلك الجريمة

تظاهر جهله باختفائهم فقال : رحلوا ! رحلت تلك الأرملة .

- بعد سفرك بأسابيع أعطوني المفتاح

- لقد كان مع المرأة رجل آخر ، ثم جاءت امرأتان زائرتان للعيش معهم.

- لم أر الرجل الآخر عندما تفقدت البيت .. واستلمت أنا منها العقار .. أو أنه هو الذي غدر بزوج المرأة واختفى

تظاهر عمر بكر بالاهتمام بالأرملة فقال : أين سكنت الأرملة المسكينة كنت أريد ...؟ وسكت

فقال الرجل : جاء رجل بحار وأخذهم ، وترك الأرملة وحدها ، وبعدها جاءتني هكذا رددت أمامي ثم قالت لي: سأرحل من بيتك إلى بيت في قلب المدينة .. فهاك مفتاحك ودفعت الأجرة المتبقية .. هل تأخذ بيتها بدلا من بيتك القديم ؟

- سأفكر بذلك ، سأعود لك بعد أيام ، معي حاجات تركتها في الخان الحصان الأحمر حيث ميناء سادة .. كنت أفكر بالزواج منها من أرملة الرجل المقتول.

- حقا ! لكني لاحظت أنها حامل من زوجها المقتول ، لما رأيتها كانت بطنها منفوخة ، واعتقدت أنها على وشك ولادة ، وإذا التقيت بها فكيف أخبرك بمكانها ما دمت تنوي الستر عليها ، وتربي ابنها أم تريد غيرها ؟ فكما أؤجر بيوتا ادبر زوجات .

قال عمر بكر مفكرا : سأعود إليك بعد حين ، ونتسامر في ذلك .. هذه الأيام أنا في خان الحصان

الأحمر حيث المرفأ البحري.

- أعرفه ، ومن لا يعرفه من أهالي سادة ؟!

- جميل! إذا قابلت السيدة المسكينة قل لها جارك البراق سأل عنها .. وخلال أيام ستجدني فيه فأنا على وشك السفر في تجارة أخرى هذه حياتنا .. فالتوابل سلعة يحبها الناس خاصة أهل المدن الكبيرة ، وتجد عليها طلبا دائماً

- أعرف هذا ! أعرف هذا! السمسار يعرف كل شيء

غادره عمر بكر إلى الخان القابع قرب ميناء سادة الكبير ، وكان يتذكر أنه لم ير الأمير حفصا منذ جاء إلى سادة خلفهم ، ولم يره في جنازة عفريت إلا اذا كان متنكرا بصورة خفية جداً ، وحتى لما جلس يعزيها عند القبر لم يظهر ، لقد حضر الجنازة بحكم الجوار والشفقة على المرأة كما زعم وذكر أن عدنان الربان دخل البيت ماذا جاء يفعل ومعه النساء ؟!

قضى شهرا في المدينة دون أن يصطدم بالمرأة ولا بالأمير ولا حتى بعدنان الربان ، وذات يوم بينما هو يمشى في الميناء أمسك به رجل، فالتفت إليه ؛ فإذا هو مؤجر البيوت في ذلك الحي فقال: أنت هنا !

رحب به وقال: نعم ، وصلت مدينة أروى وعدت

- لم تعد كما وعدت .. توقعت أنك سافرت ، لقد عادت المرأة للحياة في الحي بعدما ولدت طفلا ذكرا .. وحدثتها برغبتك الزواج منها.

- وماذا ردت ؟!

قال السمسار : قالت لو كلمني بذلك تلك الأيام لرفضته ، كنت حزينة على وفاة سيدي .. أما الأيام هذه فأقبله أصبحت وحيدة .. سألتها عن ذلك الرجل الغامض ، فقالت: منذ مقتل زوجي لم أعد أراه ، كان شريكنا في البيت ، وجاءت امرأته وجاريتها من بلادها .. ولما اختفى عادت المرأة والجارية لنجوان

- أهي مستأجرة عندك ؟

قال الرجل : نعم ، في أحد البيوت .. وأنا أقول هذا الكلام فإذا ما زلت ترغب بنكاحها سأسعى بينكما .

– حسنا سأبقى مدة يومين ، رتب لي لقاء معها غداً مساء .. سأسافر في حمولة إلى مدينة أروى غداً أراك عند مدخل الحي ، ونذهب سوية إليها

قال : حسن أنا في انتظارك أيها التاجر السخي

– على بركة الله .. قابلها اليوم .. وغدا ترد الخبر النهائي .. وإذا تم الاتفاق بيننا بعد سفرة أروى نحتفل بالزواج ..أهي من هذه المدينة ؟

– نعم ، وهي تعرف المدينة من زمن بعيد قبل أن تعيش في نجوان .. هي جارية تباع وتشترى أعتقت من زمن يسير



ذهب عمر بكر والسيد خانتوش لمقابلة المرأة الأرملة ـ خادمة الأميرة هند قبل مقتل الأمير أسد ـ رحبت بهما وذكرت الرجل الذي حضر جنازة زوجها عفريت ، وكان يجاورهم في الحي فقالت: أعلمني السيد خانتوش برحيلك في تجارة ، ثم عودتك .

فعلق البراق قائلا: نحن هكذا .. سفر تلو سفر .. نترك غلماننا يبيعون في دكاكيننا .. ونتنقل بين موانئ الدنيا ..واخبرني الأخ أنكم تشكون في الرجل الذي كان يعيش معكم بأنه غدر بزوجك المسكين وخانكم ، وهرب من المدينة .. أعرفت الشرطة شيئا عن القاتل ؟

قالت بضيق ورفعت صوتها قائلة : الرجل الذي كان معنا صديقنا وصاحبنا ، ليس له علاقة بقتل زوجي ، كان في انتظار زوجته وخادمته ليستقر في بيت مثلنا ، فلما جاءتا صار الحادث الغادر .. والشرطة لم تعرف شيئا ولن تعرف .. والقتل الغدر له قصة ، لم تكن في هذه البلاد رحم الله الأموات

فتظاهر بعدم الحاجة لسماعها قائلا : ما دام هناك قصة فلا داعي لسماعها .. فالقصص لا تنته فلكل منا قصة وقصص .

فقال خانتوش بفضول لدى البشر معروف: أنت تعرفين قاتل زوجك .. لماذا لم تخبري الشرطة؟!

قالت لتشبع فضول السمسار: أنا أعرف الجهة التي وراء الجريمة ؛ لكنني لا أعرف الفاعل وجها لوجه .. والناس مع الوقت تتكلم .. وزوجي لم يقتل على أيدي لصوص كما تخبر الشرطة .. قتله عدو حاقد .. وقد ترك في رحمي طفلا ولدته من عهد قريب سيثأر له عندما يصبح رجلا لابد أن ينتقم الرجل لأبيه .

فلما صمتت وقد سيطر عليها الحقد والغضب ، قال البراق بعد أن أكد أن الابن سر أبيه : حدثك السيد خانتوش عن رغبتي بالزواج منك ، لقد وقعت من نفسي موقعا حسنا ، والسيد اعلمني أنك كنت في حالة حمل وانتظرت حتى تلدين ، ولما جئت الحي بعد سفر طويل وجدت السيد مؤجرا لبيتي

- أنت تسكن في الخان كما قال خانتوش ؟

قال : أنا هذه الأيام تاجر جوال أنقل التوابل بين المدن ، ولي شركاء في سادة ، وفي أروى حتى أنني نقلت إلى نجوان الجهة الأخرى من البحر ثيابا ، وقابلت عددا من تجارها وأصحاب السفن

- أتذهب إلى نجوان؟

قال دون تردد : مرات معدودة ، إنها على الساحل الجنوبي لبحرنا هذا . ولما لاحظ لهفتها لنجوان قال ليستدرجها في الكلام عن نجوان :أنا أعد سفرة قريبا لنجوان .. ألك أقارب فيها تودين إرسال شيء إليهم رسالة مال هدية ؟

بعد صمت وربما تفكير قالت: لي أخت تعيش هناك .. أنا يا سيدي البراق كنت جارية ، واعتقت من عهد قريب ، وتزوجت من تعرف قتله وشاركتني دفنه سيدي عزور .. وأنا أعرف نجوان جيدا عشت فيها ردحا من الزمن ، وقد وعيت على نفسي هنا في سادة

فقال ليزيدها ثقة بشخصه : أنا ولدت في بلاد النملة ، ثم عرفت البحر والمدن البحرية الكبيرة

والتجارة والسفر ، ولي في كل مدينة متجر صغير خاصة سادة وأروى وغيرها ، وتزوجت كذا مرة ، ولم يولد لي لليوم ، رأيت حزنك الشديد ولوعتك على عزور يوم نقل لدار العسس وعرفت أنك جارتي صدف رؤيتي لك أكثر من مرة ، فحزنت لحزنك ، ووقع في نفسي الزواج منك ، قلت بعد انتهاء الحزن ولا شيء يدوم ، وحدثت خانتوش بهذا الأمر فوعد بالتوسط بيننا .. وها هو يفعل

وتكلم خانتوش مشجعا الطرفين فقالت: أنا وحيدة في الدنيا ، وأنا بحاجة لرجل بجانبي بعد ترملي ؛ ولكنك رجل جوال ؛ كأنني لم أتزوج .. وربما تعجبك أخرى في مدينة فتستقر عندها لزمن .. فكيف يكون هذا الزواج ؟ وأنا لا أهل لي ، ولا أعتقد أنك ستتخلى عن السفر أو تصحبني في سفراتك

قال مبديا صعوبة ذلك : هذا صعب ؛لأن رجال السفينة كلهم رجال ؛ ولكن كلما آتي هنا نعيش سوية وأنفق عليك ما دمت على ذمتي .. أنا أحيانا أمكث أشهرا قبل رحلة جديدة .. لن اضغط عليك لتقبليني .. بعد أسبوع أو بعد عودتي من أروى أسمع قرارك النهائي.

– جيد هذا سيد حمزة البراق ..نعم ، افكر بذلك جيدا .. فهمت أن على ذمتك نساء آخر

– أنا أتسرى بالجواري .. خيانة الحرة صعبة على النفس وعلى أهلها .. فالسرية إذا زنت مع السلامة .. فأنا أعجبت بك وتشجعت لنكاحك ؛ لأن أصلك جارية .. فإما أن تحترم الجارية نفسها أو يفتح الله بيننا ..فالتعامل مع الجواري أسهل من بنات السادة

– نعم ، أنا جارية وأخبرت خانتوش بذلك ، وعشت في نجوان أكثر سنوات العمر كجارية ، ثم هجرتها للعيش مع زوجي عزور .. وهو كان رقيقا وحرر مثلي .. جئنا سادة ؛ ولكن لم تدم لنا الحياة .. قتلوه ، وبقيت لي أخت هناك .. وعندما تسافر إلى نجوان سأكتب لها رسالة .. فهي الآن بشوق لي ، لي أكثر من سنة بعيد عنها .. سنة ونصف

قال بحماس : سأكون في خدمتك يا سيدتي .. لو أنت سرية لكان زواجنا أسهل .. والسيد خانتوش سيكون صديقنا ويقدم لنا كل مساعدة حتى أعود .. أتحتاجين مالا ؟ لديّ الكثير

قالت بعزة نفس أدهشته : لا يا سيدي ، فقد ترك لي زوجي مالا كثيرا .. وسيدي الآخر ـ زوج المرأة التي جاءت لتعيش معه هنا ـ ترك الكثير قبل الاختفاء أو الهرب .. فقد خشي هو الآخر على حياته من الأعداء .. ففضل الهرب ، ويمكنني أن أعيش بكرامة .. وأنا أفكر بشراء بيت .. والسيد خانتوش سيساعدني كما وعد بذلك

وتكلم خانتوش عن شراء البيت ، وأنه يبحث عن بيت مناسب لها ، فقال عمر بكر: أنا توقعت أن يتزوجك صاحب زوجك بعد ترملك ويضمك لزوجه ، خاصة أنكم تعيشون سوية .

قالت :لا يستطيع الزواج من جارية أو امرأة كانت جارية .. فهو سيد من سادة بلاده ، ثم جار الزمان عليه بالنفي .. وهو الآن قد اختفى دون أهل وأقارب .. وتخلى عن كل شيء حتى زوجته التي تعيش معه أعادها لبلاده .. إنه مرعوب من عدونا الخفي

- يظهر أنكم تحملون سرا خطيرا يا سيدة نورا .. هارب من أمر جلل.. نلتقي أيتها السيدة



هل شكت المرأة بأني من نجوان ؟ لقد خدمت في قصر الملك كعين لحفص وعفريت ،لا ، إنما تآمرت معهم هياما بعفريت ، وخانت القصر طمعا بالنكاح منه ، وتعرف سادة قبل أن تباع في نجوان ، من شقيقتها ؟ جارية من ؟

قضى أسبوعين يراقبها عسى أن تدله عن مكان حفص ، ثم تفاجأ بها تنكح خانتوش وكيل تأجير البيوت في السوق ، فقال : نعم ، إنها ذكية ، تريد زوجا مستقرا ، ووقع خانتوش في لصيد ولما رأى ذلك أدرك أنها أنهت حياتها مع الأمير حفص ، وفعل كما تحدثت الجارية التخلي عن كل شيء ليحفظ حياته ، وصعب الوصول إليه إذا كان هذا الحدث صحيحا ، فقال وهو يغادر سادة: إن السر الآن عند عدنان ، ولم أر عدنان منذ جئت سادة ، لابد من رجل حاذق أدسه بينهم في البحر .. رجل يسمع أكثر مما يتكلم .. سيف الشيخ إنه يخدم في قصر ابن عم الملكة هند .. عليّ أن أجد هذا الرجل الحاذق الماهر أو أذهب أنا بنفسي ، وذلك بعد التشاور مع مولاتي الملكة

دخل نجوان متنكرا كعادته ، ودخل حجرته في القصر الملكي كابن للملك وأخ للملكة هند ، لم يعد السائس عمر بكر أمسى الأمير عمر بكر ، لما رجعت الملكة للقصر ذهبت إليه لتسمع الأنباء التي أتى بها ، فقص عليها حواراته مع الجارية نورا فقالت: إنها الخائنة الأولى ؛ لكنها جارية تشترى وتباع بالمال .. نعم ، كانت من جواري الأمير أسد ، وسمعنا بعلاقتها وحبها لعفريت ، لم نكترث لهذا الحب .. إنها إنسان ؛ ولكن هل يعقل أن حفصا هام على وجهه حفاظا على روحه ؟!

- اليأس .. هذا ما وصلت إليه منها ، ولما تزوجت ذاك الرجل لم يبق لديّ شك بأن الرجل ابتعد عنها ، وأنها أصبحت خطرا على شخصه ؛ لكن هل تخلى عن العائلة والبلاد ؟هذا ستوضحه وتبينه الأيام

- كيف العمل؟

- علينا أن ندس جواري وغلمانا فطنا في قصر عمنا هاشم ، ونتابع الربان عدنان .. أن يعمل معه رجل فطن كما فعلت في بداية الرحلة والمهمة .. فقد كان بريد القوم إلى حفص الهارب وإن تستغنين عن خدماتي لحين من الزمن فأنا على استعداد للعودة إليهم بهيئة جديدة غير هيئة العتال المسكين

- أعندك أفكار أخرى؟

- الأفكار لا تنتهي يا مولاتي

- كيف ؟

- تطلبين من عمك هاشم تسليم ابنه أو مغادرة البلاد مع أولاده كلهم ..النفي

- وإذا وافقوا على النفي والمغادرة.

- لابد من الاستعانة بالعيون ؛ ولعلهم إذا رحلوا أن يعود إليهم حفص المختفي

- أيقبل الملك بهذا الفعل؟!

- الدم حاضر بيننا وبينهم اليوم

– نعم ، عليّ أن أتشاور مع الوزير الأكبر وقائد الجيش وأمير العسس في هذا النفي واستشارة الملك أبي أولا

– الملك منهك ومريض يا أخية ، فقد يؤلمه هذا التصرف ، ويقول لا نأخذ الآخرين بجريرة الغادر.

قالت بقلق من النتيجة : أو نسكت عن الدم

– هذه النتيجة التي يسعون لها من أول أيام القتل والخيانة الصلح والدية

– نحتمل المر حتى يموت الملك .. فأبي في رمقه الأخير .. الكبر وموت أسد هداه وزادا مرضه وضعفه.

– فلنذهب إليه

تركا حجرة الأمير فادخلهم الحاجب غرفة نوم الملك ، لم يعد الرجل يقدر على مفارقة الفراش إلا بصعوبة ومساعدة الخدم ، قبلت الملكة والدها ، وفعل الأمير مثلها ، وقال الملك بصوت واهن : مرحباً بالأمير ..الحمد لله على العودة سالما .. عسى أن لا تفارقني هذه الأيام أجلي يدنو يا ولدي

– نعم ، عدت يا أبي

أشار لهم بالجلوس والبقاء ، وكان خال الملكة موجودا شقيق أمها ، وكان رقيقا ، ثم تحرر بزواج أخته من الملك بعد أن كانت سرية ، ولما ولدت له أعتقها ، وظل زوجا لها : كيف أنت يا أمير عمر بكر ؛ لعلك وفقت في سفرتك هذه؟

– ليس كثيرا سيدي الأمير

– أصحيح أنك تعشق السفر والصيد في البحر؟!

– نعم ، ولكن هذه المرة لم نحقق الكثير منه أيها الأمير

– أتصيدون الأسماك الضخمة؟

– وهذا ما يصعب الأمور يا سيدي الأمير

وكان عمر بكر قبل أن يأتي نجوان عندما أسر قد عمل في الصيد البحري خاصة الأسماك الكبيرة ؛ ليستطيع شراء حريته ـ كما أشرنا إلى ذلك آنفا ـ وهي مهمة قاسية ومخاطرة صعبة ، قد تغرق الأسماك الكبيرة القوارب والمراكب ، وقد يهلك الصياد في انتشاله السمكة الضخمة ثم خرجت الملكة يتبعها الأمير للغداء على مائدة الملكة كما أعلن الطاهي ، وتناولا الطعام وتحدثا عن الانتقام ، فقالت: هذا الربان عدنان لو حبسناه بتهمة ما وضغطنا ألا يتكلم ؟

فقال بعد نظر : الإكراه فعل سيء يا مولاتي .. وقد يكذب بذكر مكان بعيد .. فسرق المعلومات أفضل .. فهي تكون في الغالب صواب ؛ لأنه يقولها القائل عن حسن نية ، وفي حالة أمن .. جاسوس ذكي ومخلص نحصل على الخبر اليقين

– هؤلاء الرجال قلة من أين نأتي بالعين الفطين ؟ أتحسب كل الرجال مثلك ؟! فالذين يحبون المغامرة قليلون نادرون.

فقال مبتسما : ما دمت تشهدين لي بذلك فعليّ أن أقوم أنا بهذه المغامرة

– يكفي ما قمت به ، وأبي يريد بقاءك .. علينا أن نجد هذا المغامر ... بماذا تفكر؟

قال وقد تذكر شخصا قد يقوم بالمهمة : عرفت فارسا في مدينة النملة ذكيا شجاعا وقويا ما رأيك أن أسافر إليه وأكلفه بهذه المهمة ؟

– أهو فارس حقاً ؟

– نعم ، خبرته فهو أفرس مني ، وكان قائدا مهما في جيش المدينة .. وأخطأ في معركة ، فأبعد عن القيادة ، ولخصومة بينه وبين قائد الجيش أيضاً ، فعاد لمزارعه وحقوله ، بل طلب مني ترك الجيش والعمل معه ، ثم أسرت ، وجرى ما رويته لك أثناء الأسر .. إنه فارس محب المغامرات ومطاردة اللصوص والعصابات ، واشتهر بذلك

– ما اسمه؟

– اسمه عثمان بن جليل

– أيقبل بمساعدتنا ؟

- سأعرض عليه المهمة

- وتقبله لي زوجا .. الشرط ما زال قائما

تنهد الفارس وقال بخجل : نسيت هذا أيتها الملكة ! وأنت اليوم ملكة .. سأطلب مساعدته في أسر ذلك الطير فقط

- ذو زوج هو؟

قال ضاحكا :كثير الزواج وكثير الطلاق .. هن يطلبن الطلاق كما كان يقول لي



رحلة إلى النملة

سافر عمر بكر إلى أروى بحرا ، ومنها تابع المسير إلى بلاد النملة حيث ترعرع وشب شابا ، وصلها مع دخول الليل فلجأ إلى خان يقضي فيه ليلته ، وقد عادت به الذكريات إلى حياته هنا وعند منتصف النهار خرج إلى أطراف المدينة حيث المزارع الكبيرة والأملاك الخاصة برجالات الحكم والجيش ، ووصل مزرعة القائد عثمان الذي عمل معه سنوات حتى طرد من قيادة الجيوش ، رآه يجلس أمام القصر ، وحوله الغلمان والجواري ، فلما لمحه عثمان مقبلا عرفه فورا وتذكره ، وكيف ينساه وهو أحد فرسانه أيام العز والفروسية ؟ كانت الدهشة مرسومة على وجه عثمان وقام واقفا بمساعدة الغلمان ، فقد كان معلولا كسيحا مما أحزن الأمير وسقطت دموعه وقال باستغراب وشفقة : ويك! ما أصابك أيها البطل؟

تعانق الرجلان عناق الأحبة : تركتك سليما صحيحا!

ضحك عثمان وعلم أن رفيقه أيام الجيش لا يعلم خبره فقال: كم لنا متباعدان ؟!

- منذ أسرت ، من عشر سنوات أيها القائد الباسل .. ماذا دهاك إنما هي عشر سنوات؟!

قدم مقعد للأمير ولما استقر الجلوس قال: حادث في أحد الجبال على أثره فقدت قوة ساقيّ أيها الصديق .. أنا كلما التقي بفارس من أصحابنا أسأله عنك ، وأتنسم أخبارك عساك وصلت لأهلك

- نعم ، عملت رقيقا حتى دفعت فدية العتق ، ثم ذهبت لأبي واعترف بي منذ عهد قريب

بعد الطعام كما أراد القائد شرح الأمير قصته للقائد فقال : أنت ابن ملك الآن مبارك ما صبوت إليه .. كانت حكايتك غريبة يا أيها الأمير .. أرجو أن تبقى عندي بعض الوقت .. إني بشوق لك وللأخوة الفرسان .. كانت أجمل الأيام عند مقارعة الفرسان والموت !

- سأبقى بضع ليال كنت قاصدك في حاجة كبيرة ؛ لكنك اليوم تضعف عن تحقيقها ، مغامرة كبيرة تحتاج لقوة وعقل أيها القائد . واختصر له قصة مقتل ابن الملك أسد والمطاردة التي قام بها ولما انتهى من السرد قال عثمان: أحسنت بعدم قتله .. هذا دم كان سيبقى بينكم للأبد .. فهم

اليوم أعمامك وعشيرتك ، نعم القضاء هو الصواب .. عندما يقتل قصاصا هو الأحل الأطيب ليتني قوي البنية لمطاردته حتى أقبض عليه أسيرا واسلمه لقاضي بلادكم.

أخذهم الحديث عن أيام المعارك والجراح والخطط ، وكانا ممددين على أسرة في قاعة الطعام الجميلة المزينة بالرسوم والأطعمة والطيور الملونة ، وبعد حين انتقلوا إلى غرفة أجمل منها للاستراحة ، وقدم لها فيها الشراب من العصير والفواكه وأغلبها من مزارع عثمان : جئت يا ابن الملك تطلب عونا من صديق قديم

- جئت لأسد عرفته شامخا ، لكنها المقادير أيها القائد الباسل ما تشير به عليّ الآن؟

قال عثمان : زوجة الغادر عفريت تزوجت بعد موت زوجها ، والأمير حفص ابتعد عنها زاعما لها أنه سيختفي من حياة أهله ونجوان طمعا بحياة دون خوف ومطاردة .. وعجز أهله من التصالح على دم المقتول أسد .. وأنت ترى أنه غادر سادة ونفذ ما تحدث به للجارية .. وعدنان لم يعد يسافر على المركب ..كيف كانت حيلتك؟

- خطتي أو حيلتي أن تكون معهم كبحار صياد تاجر تعيش معهم ، كما عشت بينهم بأي هيئة تتقنها .. وأنا لولا الوقت لتابعت الكيد حتى أصل إليه ؛ لكني اليوم أصبحت حارسا للملكة وأخا لها ..والأب الهرم يريدني بجواره

- ابشر أيها الرجل الشهم لن أخيب رجاءك

- ويحك لا تكلف نفسك ما لا تطيق

ابتسم عثمان وقال: لديّ عبد محنك أدخره لقضاء الحاجات الخطيرة والكبيرة والجريئة .. أرسلته للمدينة لقضاء بعض الحاجات عند الحاكم والأمراء .. عندما يرجع سأشرح له المهمة التي سيقوم بها وأتخلى عنه بضعة أشهر وحتى سنة

قال الأمير : مقابل ماذا سيخدمني هذا العبد الشجاع؟

- المال ، هو لا يريد الحرية منذ تملكته وهو يخدمني بإخلاص .. مكافأة من المال

- وماذا يفعل بالمال؟!

- هو سيخدمني حتى أموت ، هكذا اتفقنا وبعدها سيصبح حرا ..وأنا أسمح له بجمع المال لنفسه ، فهو شجاع وذكي وهو قادر على العمل حسب خطتك

- أستخدمه سنة ؛ فإذا حقق المراد قبل ذلك رجع إليك بالغنيمة ، وإلينا بحفص ، وبعد السنة إذا لم يوفق سأعيده إليك

قال القائد العاجز : هذا الصواب ، أستغني عنه سنة لأخ صديق .. وهو كحارس لي وشجاع لم نتحدث عن النساء أتزوجت؟!

- كنت كما تعلم أتسرى بالجواري واعتقهن بعد حين

فقال القائد بحزن : وأنا مثلك بعدما يئست من الحرائر عدت للجواري .. فالتحكم فيهن أسهل ؛ لكن خيانتهن أسرع إذا عزمها عبد أسرعت إليه ناسية رجلها .. ولا أمل لي في الولادة

- لم يلدن لك؟

- لم تنجب أي واحدة منهن قبل الحادث وبعده

- وهذه الأملاك لمن ستعود أيها القائد الباسل ؟

ابتسم عثمان وقال : لإخوتي ما زال الخمسة على قيد الحياة

قال الأمير مواسيا : لا أحد يموت ويأخذ معه شيئا .. والكل سيموت أيها الصديق حتى الدنيا كلها ستزول .. هل من أمل في ذرية بعد هذه السنين؟

- علم ذلك عند ربي .. أتحب أن نتمشى في البساتين والرياض ؟

- وأنت؟!

- لي عربة خاصة يجرها جوادان

نادى أحد الخدم وأمره بإعداد بغلة للفارس عمر بكر ، وتجهيز عربته والخدم لجولة في الأملاك

- أنت باسل وتقاوم ببسالة!

- لابد من ذلك ، ولو قبعت جالسا نائما لمات ما تبقى من جسمي ، لابد من الحركة والاستمتاع بهذه الحياة

- صدقت

جاءت البغلة وعليها السرج الجميل المريح ، وحمل الرجل حتى استلقى على عربة الجياد وتقدمهم الخدم في جولة في أملاك القائد عثمان ، وقضوا ساعات يتجولون بين الأشجار ويسمعون أصوات الطيور ، وعند الغروب رجعوا لديوان وقصر القائد ، واستعدوا لدخول غرفة الطعام عندما اعلن في القصر عن عودة العبد الزنجي فراس.

***

شرح الفارس عثمان لفراس الزنجي الغاية من زيارة الفارس عمر بكر صديقه أيام الجندية ، وقص عمر بكر قصة مطاردته لحفص وعفريت وقتله لعفريت وتركه لابن عمه ، ولما عاد لأسره وجده قد اختفى ، والجارية تزوجت واستقرت في بلاد سادة ، ويريد أسره وخطفه بعد معرفة مكانه وتقديمه للقضاء في نجوان حتى لا يترك مجالا للثأر والانتقام في مستقبل الأيام .. فلحفص عشرة أشقاء بين بنات وذكور .

استوعب العبد فراس القضية بتفاصيلها والمهمة المطلوبة منه فقال: تريد أن أعمل مع عدنان في التجارة أو من يقوم مقام عدنان ، كما فعلت أنت في أول المطاردة ، وأنت ترى أن الجارية ابتعدت عن حفص أو هو ابتعد عنها وقطع الصلة بأهل نجوان ، وطلق نساءه الأميرات ، واختفى بشخصية إنسان عادي دون إمارة ؛ ليعيش وحيدا مجهولا في إحدى مدن الدنيا .. وزواج نورا في بلاد سادة يدل على هذا القرار .

- قضيت أسبوعين أتابعها قبل القفول لنجوان

قال العبد فراس : حسن هذا يا سيدي الأمير! العمل مع عدنان سهل وميسور .. المهم أن اطلع على أسراره وحركته.

- هو لقد ترك السفر إنما يجلس في الميناء لمتابعة التحميل والتفريغ والسفن المملوكة لأسياده ..قد تضطر للتنقل بين عدد من الموانئ .. فهو ينقل من مدينة إلى أخرى .. ثم يعود لنجوان بعد عدة رحلات إلى المدن الساحلية .. ومساعده هو الذي يسافر في المراكب واسمه

البحار حمدون

- أنت ترى أن السفر معهم خير من البقاء مع عدنان ؟

- أنت تقرر الأفضل والأنسب

قال فراس : سأرسو في بلادكم في قارب صيد ، وإذا لم تحقق المطاردة ثمرة سأعمل معهم ؛ وإذا كان حقاً أنهم قطعوا الصلات بذلك الأمير ، ما العمل أيها الشجاع؟! كيف نصل إليه؟!

- نعم ما العمل ؟! إذا فشلت في معرفة مكانه ، فلن نصل إليه إلا صدفة ، ما دام لا يعرف أحد مكانه أو إذا حن ورجع البلاد ، ولم يستطع التخلص من جبروته وعنفوانه .. لدينا خطة أخرى لكنها تنتظر أيها القائد عثمان موت الملك هشام أبي .. عندما يرحل عن الدنيا بسلام أن تقوم سيدة المدينة الملكة هند بنفي عمها والد القاتل وأسرته أو تسليمهم حفصا للقاضي فقد يقبلون والأغلب سيرفضون وسنضع في مكان نفيهم عيونا لنا

قال عثمان معقبا على هذه الخطة : قد يطول عمر والدك الملك ، وتضعف الهمة في الطلب مع الوقت ولعلها بردت

- الملكة ما زالت حاقدة وناقمة على مقتل أخيها ، وعرضت نفسها للزواج ممن يأتي برأس حفص .. لا تحب الرجال والحمل والأطفال إنها في العشرين

- وهل هي امرأة؟!

- بل جميلة يا سيدي

فقال فراس ساخرا : وإذا قتلت عدوها اللدود أتقبلني زوجا لها ؟ أصير زوج الملكة ؟!

- اعتقد أنها تقبل حتى ولو أنها ملكة .. الشرط هذا هي هذه وضعته قبل أن تصبح ملكة .. هي ترفض الزواج اليوم حتى يكبر ابن أخيها الأمير هيثم ، ويصبح سيد البلاد خشية الفتنة وتنافس الرجال على الزواج من الملكة

قال عثمان: ولماذا تنتظر نفي عمها ما دامت السلطة بيدها؟

- رحمة بوالدها فهو شقيقه ، فسيقول لنا لماذا يؤخذ بجريرة غيره .. نحن نطلب دم حفص

الغادر .

كرر عثمان كلام الملك وبعد صمت قال عثمان: ما تقول أيها الشجاع؟! مشيرا لفراس

- سأقوم بهذه المهمة يا سيدي وأبذل جهدي وعرقي وفكري ، مع أن عقلي يقول إن القوم نفضوا أيديهم عن الأمير بعد مصرع عفريت ، وتركوه هائما في الدنيا .. مصلحة له ومصلحة لهم .. فالملكة مصممة على الانتقام .. عليّ أن أحاول أيها الأمير من أجل خاطر سيدي القائد عثمان ، ومن أجل الصداقة الكبيرة التي تربط بينكم .. سأكون قريبا في بلادكم نجوان متى ستسافر أيها الشجاع ؟

- الشكر للقائد عثمان ولك يا فراس .. سأكمل الأسبوع عند أخي عثمان ، وأعود مباشرة إلى البلاد ، وقد تستمر الزيارات بيننا

فقال عثمان: أنا ستجدني في شوق إليك .. أنا لا أنسى أيام القتال أيام الغدر ؛ لكنهم أهلنا أيها الصديق .. وأنت اليوم وجدت لك أهلا خيرا منا

- لا أنسى هذه الأرض ، لقد عشت فيها أكثر من بلاد الآباء والأجداد .. كنا وبقينا أخوة وسنظل أخوة .

قال فراس : بعد عودتك بأسبوعين سأتحرك بقارب الصيد إلى ميناء نجوان ، وبعد وصولي سأبدأ بالتردد على الميناء لنجوان متنكرا بهيئة رجل عجوز والأمارة بيننا الفارس عثمان .

- الفارس عثمان ، نعم الأمارة

قضى باقي الأسبوع ضيفا على القائد عثمان ، وانتقل إلى أروى واستأجر مركبا تنقله إلى نجوان فالبحر يفصل بين المدينتين ، ولما دخل القصر علم أن الملك هشاما قد هلك ، فبكى وبكى وعزى الملكة ، وقال: رغم حلاوة السفرة ؛ فإنها أسوأ أيام ، مات أبي وهو يقول ابق جنبي.

الاغتيال

بعدما خف حزن الفراق وندمه على هذه السفرة اخبر الملكة بما فعله في بلاد النملة فقالت: أترى أننا بحاجة لهذا الرجل بعد وفاة الملك رحمه الله؟!

فبعد صمت وتأمل رد الأمير: أتريدين فعل النفي؟

- أليس هذا حلا؟

قال متشككا : أيقبل أبناء العم بهذا النفي دون مقاومة ؟! صاحبي عثمان يخشى من هذا الفعل.. أيمكن أن تحدث ثورة وتمرد في البلاد ؟ لم أفكر بردة هذا الفعل عندما اقترحت هذا الحل .. ألهم قوة أيتها الملكة للثورة علينا؟!

قالت بتأنٍ :لا يقبلون بسهولة ، سيتدخل الأكابر ، سيشفعون بعض السادات ؛ ولكني مصرة على النفي أو تسليم حفص للقاضي .. نار الحقد تشتعل في القلب يا عمر بكر .. الغدر والخيانة علقمان .. آه ليتك قتلته يا عمر بكر!

- لم تطاوعني نفسي أن أكون مثله ولو باسم الانتقام ، وأنا القادم إليكم بعد عشرات السنين أن أتقرب منكم بدم حفص .. وأتقرب من أبي بدم ابن أخيه .. الموقف حاد

تنهدت الملكة وقالت : أنا أعذرك .. أنت الصواب .. إنها لحظة انفعال حاد وحسرة ..آسف أيها الأمير .. القاضي العدل

قال : هذه الخطوة المهمة كانت قبل وفاة أبي الملك ، أما إذا اردنا تنفيذ النفي نحتاج لعين بينهم

ترك الأمير أخته بعد هذا الجواب وسمعها تقول : سيكون مهرجان غداً خاصا بالجند والعساكر هل ستكون معي ؟

- وموت الوالد؟!

- هو مرتب قبل وفاة الوالد ، وهو مهرجان سنوي

- متى وقته؟

- عادة يبدأ من الصباح ؛ والملك أو من ينوب عنه يذهب إليه عند العصر لتوزيع الجوائز والهدايا

على المتقدمين من الفرسان والجند

- عندما نلتقي صباحا سأبين رأيي

اعتذر الأمير للملكة عن صحبتها لتوزيع الجوائز في عصر اليوم ، وذهب يتفقد مزارع الحيوان والخيل الخاصة بالقصر الملكي، واجتمع الأمير بغلمانه المائة الذين وهبهم له والده الملك ، وكان قد عهد لخادم خاص منهم اسمه غضب بأن يكون عريفا عليهم ، وسمح لهم بالتدرب على الفروسية والرماية بسبب تعدي بعض اللصوص على حظائر الخيل الملكية ، واحضر لهم مدربين من الجند يشرفون عليهم ، وكان يتفقدهم بين الفينة والأخرى عندما يكون متواجدا في المدينة لقد جعل نهاره هذا لمشاهدة الغلمان وفروسيتهم ، فكما أن الملكة ترعى فرسان المدينة فهو يرعى غلمانه ، ولما قابل المدربين بينوا له مستواهم القتالي والحربي ، وذكروا عدة أسماء منهم ، تعرف عليهم الأمير رؤية العين ، ووعدهم بالهبات وربما الحرية إذا ثبت إخلاصهم له ، واخبر أنه ينوي إنشاء كتيبة خاصة به منهم ، وهم نواتها وأعلمه غضب أنه أضاف خمسين إليهم خلال الأيام الماضية

وعندما هبط الليل بوقت يسير جاءه احد الفرسان مخبرا أن الملكة تعرضت للاغتيال في ميدان الفروسية ، وتمكن حرسها من إنقاذها والعودة بها إلى القصر مصابة ، نظر لأحد المدربين واسمه مديد : ما الأمر أيها القائد؟!

- قبل أن اعرف التفاصيل أرى أن لأبناء عمك هاشم يدا في المؤامرة

قال الأمير : يا غضب فليأت رجالك للقصر .. سأكون حازما الليلة هيا أيها القادة

دخل الأمير القصر يصحبه القادة والغلمان ، وصعد لغرفة الملكة حيث قالوا إنها ترقد فيها ، وكانت ممددة على السرير تئن وتتألم من الوجع ومن الطعنة الغادرة ، فلما رأته قالت : أرادوا قتلي أيها الأمير !

اقترب من وجهها ، وقبلها الأمير ومسح دموعها وامتصها عن يده ، فقال قائد الحرس الذي ما زال يجلس في حجرتها: بينما كانت الملكة تتابع الفرسان في الميدان هجم عليها الغادر من

الخلف بخنجر كان يخفيه في كم ثوبه ، استغل فترة المتابعة للشجعان ، ولكن أحد الحرس انتبه له في اللحظة الأخيرة وهو يرفع يده طاعنا الملكة بعد أن أصابها الخنجر ، وقبض على الجاني الغادر وهو في سجن القصر ، وتم نقل الملكة إلى القصر.

قبل الأمير أخته من جبينها ورأسها وقال للطبيب : كيف الجرح أيها الطبيب؟!

– فعلنا اللازم ، لقد دخل الخنجر جسمها من الظهر والجرح عميق والشفاء بيد الله.

التفت الأمير لقائد الحرس: أين الأداة القاتلة؟!

– الخنجر موجود والقاتل موجود في سجن القصر

سأل الأمير : أقال شيئا؟

– يرفض الكلام ، ولأبناء عمك يد في الجريمة

– أكيد

– أكيد

كان خالها يبكي وزوجته وأمها ، فقالت الملكة: إنهم يسعون للخلاص منا ، يريدون العرش يا خالي .. لم يكن القتل الماضي من أجل امرأة .. اتخذوها ذريعة

سأل الأمير : أيستطيع قائد الحرس القبض على الأمير هاشم وأولاده لو صدر إليه الأمر ؟! أتستطيع فعل ذلك أيها القائد؟!

رد القائد :أفعل إذا أمرتني الملكة!

فقال الأمير عمر بكر : إذن حاصر بيوت القوم ، واستعن بالجند .. فقط حاصر أهم منازلهم وغدا عندما نطمئن على حياة الملكة نفعل الصواب

أمر الأمير غلمانه بالبقاء حول حجرة الملكة والقصر لحماية الملكة من يد كل غادر لو كان الأمير نفسه ، وأمر بعزل كل الجواري عن حجرة الملكة ، وكذلك الخدم ، ومنعهم من الدخول حجرة الملكة هذه الليلة ، وأبقى خادمتها الخاصة داخل الحجرة لا تخرج منها إلا بمرافقة أحد غلمانه وعلمه لها ، وقال لها مشجعا لأخته : وسأنام أمام حجرتك أيتها الملكة ، وسترين مني غداً ما

يسر قلبك

وقال الطبيب: هل أبقى في القصر أيتها الملكة؟

- نعم ، عليك أن تنام في القصر أرسل أحد الغلمان مخبرا لعيالك فهم يعيشون خارج القصر

قال الطبيب :نعم ، يا مولاتي .. فالناس تتداوى عندي بأمر الملك ـ رحمه الله ـ وأنا أطمئنك بالشفاء ـ إن شاء الله ـ لقد أنقذ الجندي الباسل حياتك فحرفت يد المجرم

قال الأمير بعد مغادرة الطبيب الحجرة الملكية: سأقابل اليد الآثمة

- لا تتأخر عليّ إني أحس بالأمان بوجودك بقربي

- سأحميك يا مولاتي بكل ما أملك

وأخذ يدها مقبلا وداعيا فقالت: شكرًا أيها الأخ الشجاع

كان الصباح يحمل أخبارا سيئة ، فقد انتكست حالة الملكة الصحية ، وارتفعت الحمى في بدنها وأصبحت تهذي من شدة الحمى ، واجتمع حولها الطبيب ومعاونوه كلهم ، وكان عمر بكر قد التقى بالشاب الغادر ليلة أمس ، وأنكر أن أحدا دفعه لاغتيال الملكة ، ولم يذكر سببا خاصا للاعتداء عليها ، فانهال عليه بعصا يحملها دائماً ، وتوعده بالموت الشديد خلال النهار ، ولما ازدادت الحمى على بدن الملكة عند الصباح ، عاد إليه وضربه عدة لكمات قوية من فارس متمرس وقال: من جندك للجريمة ، وألبسك ملابس الجند ؟!

أصر على الصمت وأنه فعل ذلك من نفسه دون أوامر من أحد فقال: أيصدق أحد أنك فعلت ذلك من تلقاء نفسك ؟ وأنت ما بينك وبين الملكة شيء؟! سخروا منك وقالوا أقتلها وسنحميك ونزوجك.

فقال بإصرار : لن أتكلم بشيء

- تكلمت أفصحت .. ولماذا تكره وتحقد على الملكة يا كذاب؟! اعطني السيف أيها الجندي.

تناول عمر بكر السيف من الجندي وهزه يمينا شمالا للإمام وقال للغادر: ألديك كلام يا خائن؟ ألديك وصية ؟

هز رأسه بالنفي فنخزه عمر بكر في بطنه بالسيف فرفع عنقه للأعلى ، فأطاح السيف رأسه عن كتفيه فشخر ومات ، وأمر بعض الغلمان بوضعه عند بيت الأمير هاشم حيث يحاصر الحرس والجند المنازل .

وصعد الأمير حيث الملكة تعاني ، فوجدها ما زالت شبه فاقدة الوعي ، وتتألم بصوت مرتفع وأمها بجوارها وخالها ، فالتفت لقائد غلمانه الذي يقف أمام غرفة الملكة وقال : استعدوا للانتقام أيها الشبان؟

فأكدوا له أنهم أطوع له من بنانه ، فخرج بهم يحملون الحراب مشهرة بين أيديهم إلى حيث يحاصر الجند منازل أعمام الملكة فطلب القائد : هل من خبر؟

- ينكرون أن لهم يدا في المؤامرة

استدعى الأمير أحد أبناء العم المعروف بعدائه للملكة ـ قبل أن تصير ملكة ـ في عدة مواقف معروفة منذ قتل أسد ، ولما وقف بين يديه : من منكم يقود هذه الفتنة على حياة الملكة ؟

- لا أحد يتآمر على حياة الملكة .. نحن أهل للملكة ، لسنا أعداء

- ولكنكم قتلكم شقيق الملكة ابن عمكم من قبل .. واليوم الملكة نفسها

وبينما هو يتجادل مع ابن عمه اخبره أحد الاتباع أن رجلا زنجيا يطلب الحديث معه ، فخرج إليه ، وقد تذكره ، فلما رآه عانقه وقال معتذرا : نسيت أمرك ، فلما عدت من بلادكم ، وجدت الملك أبي قد مات إلى رحمة مولاه ، وأمس تعرضت أختي الملكة لمحاولة اغتيال ؛ ربما لا تنجو منها ، وأبناء عمنا المتهمون بذلك

وبعد أن شرح لفراس التطورات الحادة في المدينة ، طلب الأمير باستدعاء أبناء أعمامه الموجودين في المدينة جميعهم ، فجيء بهم وسعى بينهم أن يعترفوا عن المتآمر فلاذوا بالصمت.

فأمر الأمير بتوثيقهم ثم أمر غلمانه بقتلهم جميعا ، وشارك فراس بالفتك معهم ، وأمر فراس الغلمان بحرق جثثهم ، وأمر الأمير الناقم عميه والنساء والأطفال بمغادرة المدينة بأسرع وقت فما هبط الليل حتى كانوا خارج المدينة ، فقد فتك بأكثر من عشرين نفس ، وما نجا إلا من كان

غائبا عن المدينة ، وأرسل وراء عدنان الربان ، وأعلمه الأمير بأنه طارده في أروى وسادة ، وأنه هو الذي قتل عفريتا ، ويعلم اتصاله بحفص ، وسأل عن مكان حفص بعد مقتل عفريت ، وأعلمه بزواج الجارية الخائنة من خانتوش وكيل أصحاب العقار ، فأدرك عدنان قوة هذا الرجل الذي أمامه ، فارتعب وأحس أن روحه تكاد تطير من بدنه فقال: أصدقك الحديث بعد موت عفريت ذهبت لهم بمال كالعادة ، وأخذت زوجته وجاريته وعدت بهم إلى نجوان ، وهو منذ مقتل مساعده عفريت لم ينم في البيت ترك الجميع ، وأمرني بأخذ المرأة والجارية إلى نجوان وأنه تخلى عن جميع أهله ، ويعيش هائما في الدنيا ، وأنه طلق نساءه .. والله لا أدري يا مولاي أبقي في سادة أم تركها؟ وما دامت قالت الجارية إنه اختفى وتزوجت، فصدق أنها لا تعلم .. فضل الحياة على أن يموت كما مات عفريت

- أنا أعلم أنك مرسال وبريد بين حفص وإخوته ؛ فإذا علمت في أحد الأيام أنك كذبت ، سيحصل لك ما حصل لأسيادك البغاة.

أمر الأمير بمصادرة أملاك الأميرين هاشم وهشيم وتوزيعها على الجند الذين شاركوا في القضاء عليهم ، ورجع إلى القصر يصحبه الزنجي فراس وغضب ورجاله ، وقد أخبرت الملكة بما فعل الأمير وسكتت ، فلما دخل عليها قالت: أقتلت أعمامك؟!

- لا ، قتلت أبناء العمومة لابد من الانتقام من الخونة ، والذين يصمتون على الخونة .. لقد زاد بغيهم علينا .. نفيتهم واتباعهم .. لابد من القسوة أيتها الملكة .. قتلوا أسدا وصمت كل المملكة لم يتحرك أحد للقضاء على حفص للعدالة ، وظل الملك حزينا على أسد حتى لحق به كمدا .. واليوم يعتدون على الملكة دون ذرة قرابة ورحم وغدا أنا

غمغمت الملكة بكلمات غير واضحة ، فتركها الأمير وساق ضيفه إلى قاعة الطعام يأكلان كأن لم يحدث شيئا في المدينة ، وأبدى الزنجي إعجابه بالأمير وشدته ، ونقل له تحيات القائد عثمان ، فعرض عليه الأمير العمل معه كأسياف

فقال: وسيدي القائد!

- لقد بذلت جهدا قويا في الفتك بهم

- هذه مهنتي يا سيدي

- سنتكلم مع القائد .. قلبك قوي لا تجفل من الدماء .. سنكتب رسالة للقائد عثمان.

فقال فراس متنبئا : آترك الهدوء والراحة لأعمل في بلد ستشعل نارا ؟!

- أتظن ذلك ؟

- عندما تذهب الصدمة سينالون منك .. أليس لهم أصدقاء وأصهار؟!



رغم الجهد الذي بذله أطباء القصر وغيرهم من أطباء وحكماء المدينة تدهورت صحة الملكة هند ، فدعت الوزير الأكبر وقائد الجيش وقائد الحرس والأمير عمر بكر وقاضي البلاد الأكبر ، وبعد اكتمال تواجد هؤلاء السادة أعلنت لهم الملكة أنها ستسند الحكم والولاية الكبرى لأخيها من أبيها الأمير عمر بكر ملكا على الأمة وعليهم أن يطيعوه ، وتوسلت للقاضي أن ينكحه إحدى حفيداته ليتشرف بها ، ويتابع الولاية مكانها حتى يكبر ابن شقيقها هيثم ، ويتوج ملكا للبلاد ، ولما اقسموا على ذلك غمرتها السعادة وقالت لعمر بكر: احفظ أولاد أخيك هيثم وشيماء .. هؤلاء أمانة في عنقك .. وراع العدل في الرعية . فعاهدها الأمير على الوفاء أمام كل الأعيان .

وبعد أيام يسيرة ودعت الملكة هند الدنيا ، وفارقت الروح الجسد بعمر الشباب ، وبكى الناس ملكتهم الصغيرة بكاء مشهودا ، وخاصة عمر بكر ، وتم دفنها بمراسم ملكية ، وقضى الأمير ثلاثة أيام في مقبرة الملك من آل عامر ، ثم سعى الوزير والسادة إليه فأخرجوه من حزنه إلى حمام الملوك ، فاغتسل وألبس حلة ملكية ، وساقوه على جواد ملكي نحو قصر وديوان الحكم وأعلنوه ملكا على البلاد والعباد حسب وصية الملكة الصغيرة هند بنت هشام ، وبعد الإعلان تقدم الأمراء والكبراء لبيعته والوفاء لحكمه ، فصافحوه وبايعوه.

وفي اليوم التالي خرج لباحة القصر يبايع الخاصة والعلماء والتجار وأصحاب الحرف ومشايخ

الحارات في بلاد نجوان ، وقضى أياما ثلاثة في البيعة ، وأخبره الوزير أن احتفال التتويج للملك الجديد سيكون بعد ستين يوما على وفاة الملكة الشابة ، واستعدوا لتزويج الملك من حفيدة القاضي زيد بن قاسم الأميرة باسم

وكان القائد عثمان قبل بقاء عبده فراس لدى صديقه عمر بكر إلى حين ، فكان الرجل يمشي خلف الملك كظله بهيئته المخيفة ، وعينيه الحمراويين ، والسيف الطويل على جنبه جاهزا للفتك بأي شخص وإشارة من الملك وبدون إشارة

كان الملك عمر بكر قبل المشي لديوان الحكم يذهب لقبر الملكة هند مسلما ويفعل ذلك في المساء ثم يدخل القصر إلى حجرة النوم التي يتفقدها العبد الأسود فراس ، ثم يدخلها الملك ليرقد فيها فيقضي معه الشاب ساعة يتناولان فيها الطعام ، ثم يذهب لغرفة مجاورة للملك ليكون بين يديه في أي لحظة

أظهر الملك عمر بكر للسادة قدرته عل إدارة أمور المدينة ، ومتابعة القضايا الصغيرة والكبيرة وكان قد زاد من اتباعه وغلمانه وبرعاية وتدبير من فراس الذي كان يفارق القصر لشراء المزيد من الرقيق من عند النخاسين لزيادة غلمان الملك ، وبعد مرور أيام الحداد الستين توج عمر بكرا ملكا رسميا بحفل كبير ، وأخذ القوم يستعدون لحفل زواجه من الأميرة باسم حفيدة القاضي زيد ؛ لتدعيم مركزه المعنوي في المدينة

ولما انتهت الاحتفالات انتقلت الأميرة الشابة للعيش معه في قصر النوم حيث يعيش أفراد أسرة الملك الراحل من غلمان وخدم ، واستعد السادة لتتويج الفتاة ملكة مع زوجها .

وأهدى الملك جارية حسناء لفارسه فراس الذي يتفانى في خدمته وحمايته ، وأسس له شبه كتيبة من العبيد ، شكره فراس على هديته ، والملك أيضاً ارتاح لامرأته ووجدها طيبة ومتعلمة وتحب القراءة والشعر وتقوله ، وعاشا سعيدين ، وكانت الفتاة قد تعلقت به وأعجبت بفروسيته ، ورأته بطلا كبيرا ، فقالت فيه أشعارا انتشرت في المدينة ، كملت السعادة بوضعها المولود الأول له وسماه هندا لأنها أنثى.

وكان الملك يخرج من قصر النساء أو النوم إلى قصر الحكم راكبا بغلة سمينة بسرج كأنه مقعد فخم ، بين يديه العبد فراس بهيئته المثيرة للرعب على جواد قوي ضخم كأنه فيل هندي ، ويمشي بين صفين من الغلمان المدربين على السيف والحماية ، يتقدمهم جنود الحرس وبعضهم في الخلف كان موكبا مخيفا لمن تسول نفسه الاعتداء على الملك ، ويظل الملك بين صفين الغلمان حتى يدخل القصر ذهابا وإيابا ، ويستقر على كرسي العرش ، وهكذا كل يوم ما عدا الأيام التي لا يذهب فيها الملك للديوان لعلة لمناسبة ، وأخذ يخطط لبناء قصر جديد له ولحاشيته كما أشار عليه فراس ، وسر الكثير من السادة لقوة الملك الجديد ، وعاد بالكبار ذكرياتهم مع الملك هشام عندما كان شابا ملكا ، وارتاح الوزير والقادة لاختيار الملكة له ، وعرفوا رجاحة عقلها وعقل أخيها وأنهم من صلب رجل واحد ، وانتشرت قصة مطاردته لحفص وقتله لعفريت ، وسعى بعض الناس للصلح بين الملك وأعمامه ورعاية شيخوختهم بالعودة للبلاد ، فقال الوزير: بعد رحيلهم عاد الهدوء للبلاد ، كانوا يستغلون قرابتهم للملك دون علم الملك للفتنة في البلاد ؛ فإذا عادوا سيعودون للتآمر والدسائس ، ولا تنسوا أيها الكرام أن حفصا ما زال هاربا عن سيف الجلاد ، ودم ابن الملك معلق في عنقه ، فلا عودة حتى يعتلي هيثم العرش ، وهو صاحب الحق في الدم



كان الملك عمر بكر قد ضرب أعمامه ضربة قوية تركت أثرها على كل أعوانهم واتباعهم في المدينة ، عندما رأوه لم يشفق على أعمامه فكيف هم ؟ وقوى الملك غلمانه وكتيبته الخاصة ، وأنشأ قوة خفية تنقل له الأخبار بسرعة ، فكان يجلس على كرسي العرش في الديوان الكبير حيث يستقبل الوفود والرسل ، واستقبل ذلك النهار وفود المدن البحرية بين ضفتي البحر لتنظيم التجارة والحماية بين هذه المدن ، فقد ظهرت عصابة أو عصابات تعيق حرية الملاحة والتنقل بين المدن البحرية ، لقد تعرضت عدة سفن للصوص البحر ، وسراق السفن يعتدون على سفن نجوان ونورا في الجهة الجنوبية من البحر ومن الشمال أروى وسادة

وغيرها من الموانئ ، وأهل البحر حياتهم البحر والتجارة بالسفن ، وكان اللقاء حول القضاء على أولئك اللصوص وإضعافهم قبل أن تعم الفوضى البحر ، وتشتد شوكتهم إذا لم يلقوا صدا ومنعا قويا ، وكانت الوفود قد اجتمعت بالوزير وأمير البحر ، وذكروا له الخطط المناسبة لهذا الفلتان البحري والقضاء على عصابات البحر ، ومعرفة من يدفعهم ويقودهم ، واتفقوا أن تحمي كل مدينة سواحلها وعمق معين من البحر ليل نهار ، والتعاون على مطاردة اللصوص بحملات قوية ونصب فخاخ وكمائن لهم في البحر ، ومطاردتهم في الجزر البحرية الصغيرة والمهجورة حيث يتخذونها أوكارا لمسروقاتهم ، والاتفاق على إشارات معينة بينهم ، ثم دخلوا بعد ذلك لتحية الملك وعرض أفكارهم عليه ليبارك خططهم.

وأحب الملك بعد السلام أن يسمع التفاصيل تفاصيل الاتفاق والخطط المقدرة للقضاء على أولئك اللصوص لإبقاء حركة التجارة والصيد في حرية وأمان ونشطة دون عوائق بين المدن المطلة على البحر من الجهتين ، وبعد أن استمع الملك لهذه التفاصيل دون كلل وملل ، وأثنى الملك عليهم وعلى تعاونهم الضروري ، دخل الحاجب وأخبره أن شخصا اسمه عدنان يعرفه الملك يرغب بلقاء معه ، خرج فراس وقابله أولا فعرفه ، عندما التقى به عمر بكر بعد مقتل أبناء عمه وبعد التحية قال : ما الخطب أيها البحار؟

- الخطب لديّ رسالة من ابن عم الملك المختفي حفص بن هاشم

- التقيت به !

- أبدا ، جاءني مرسال منه

- حسنا ، الملك في اجتماع مهم لأهل البلد مع وفود المدن الأخرى ، فلما ينتهي اللقاء تدخل عليه .. إياك أن تغادر الديوان قبل أن تلقاه . ونادى غلمانا من غلمانهم قائلا: احرس هذا الرجل ولا تجعله يغادر القصر أو يتحدث مع أي إنسان

عاد الفارس يقف خلف الملك كما رتب ذلك ، وسارّه بأمر عدنان ، ولما انتهى الاجتماع بمباركة الملك ، ووصى وزيره بإتحافهم بهدايا لملوك بلادهم ، وحث الوزير على التعاون بكل قوة على ما

اتفقوا عليه لحماية التجارة والصيد ، وبعد وداعهم اللائق بهم ، ادخل عدنان إلى الديوان ، وحيا الملك بالسلام وأجلسوه قبالته ينتظر الإشارة بالكلام ، فلما عاد الهدوء والسكون للديوان بعد مغادرة الوفود قال الملك : ما وراءك أيها البحار؟

– أحيي مولاي الملك عمر بكر .. أنا مخلص لعرشكم مدى الحياة .. لقد اتصل بي حفص ابن عمكم الهارب ، وارسل لي رسولا برسالة يطلب فيها المثول بين يديك لتقتص منه بدم أخيك الأمير أسد .

ودفع الرسالة للحاجب الذي ناولها للكاتب بإمارة من الملك الذي أخذ يستعد لقراءتها قال الملك : قبل أن تقرأ أين الرسول ؟

قال عدنان: في داري ، وهو عبد مستأجر .

– ولماذا يريد أن يسلم نفسه للقضاء اليوم ؟!

قال عدنان مجيبا : نعم ، يا مولاي يريد أن تعفو عن والده وعمه؛ ليعودا للمدينة ويدفنا في مسقط رأسهم .. فهم يعيشون حياة كل ذل وهوان .. يتنقلون بين المدن ويقولون الرحم الرحم أيها الملك.

فصاح الملك بغضب : ودم الملكة الشابة هند أخت الملك وابنة الملك والملكة أين دمها؟!

فبعد هدوء الملك قال عدنان : ألم يقتل المتآمرون يا مولاي ؟

– المتآمرون .. لم يعترفوا لم يعترفوا .. عيونهم فقط هي التي اعترفت بالجريمة ، لكنهم لم يعترفوا من سلط ذلك الغبي ليقتل الملكة سيدة البلاد .. حتى أعمامي لزموا الصمت حتى والد برة امرأة أسد لم يتكلم أيها البحار!

قال عدنان مفسرا : قد يكون الأمير حفص هو الجاني والمجند لذلك الغادر

قال الملك : لا ، لا ، أيها البحار لماذا سكتوا ؟! لماذا صمتوا ؟! إنهم يعرفون أنهم متآمرون على دم الملكة .. ظنوا بالقضاء عليها أن ينتقل الحكم إلى أحد أعمامي خاصة هشيم لبضع سنين ، ثم نذهب نحن .. وما أنا إلا مجرد دعي قبل هشام تبنيه .. لعبة خبيثة .. سيموت الملك الكبير

متأثرا بموت وحيده ، وسيلحق بابنه حزنا وكمدا .. وهند فتاة ستتزوج وتبتعد عن الحكم سيكون هشيم أو ابن له ملكا .. أنت بحار ساذج لا تعرف كيف تحاك الدسائس والخيانات ؟ أنا عشت في المعارك وبين القادة .. القائد عثمان في عز المعركة والقيادة خونوه ليتخلصوا منه .. ضحوا بعدد من الجند ؛ ليكون خائنا .. وربما يضعون ملكا هاشما نفسه .. لكن القدر أرسل إليهم ابنا للملك من الغيب .. فعجلوا بقتل الملكة قبل أن يقوى الأمير الشاب الفارس هذا ما حلموا به يا عدنان ؛ لذلك أصروا على الصمت .. كلهم خونة .. لقد تركت بينهم عيونا لي وللملكة ..صمتوا حتى أمام السيف

خيم الصمت القاتل على الديوان لدقائق ثم همس عدنان: والأمير حفص

– فليبق في مخبئه ، وليحذر من العودة لمدينتنا ، وليبق أعمامي في منفاهم .. لا نريد أن نعود للدماء والثأر ..يجب أن تحيا البلاد بهدوء وسلم أيها البحار .. وعندما يكبر ابن الأمير أسد الأمير هيثم ويصبح سيد البلاد ، ويعتلي هذا العرش ؛ لعله يعفو عنهم أو يقتص لأبيه .. اقرأ رسالة الخائن الجبان.

قرأ الكاتب أمام أهل الديوان الرسالة التي يطلب فيه العودة للوقوف أمام القاضي مستجديا عودة أبيه وعمه وأمه وزوج عمه هشيم.

فلما سكت الكاتب قال الملك : قل للرسول ما سمعته مني ، فلا أحب عودتهم وأنا أجلس على هذا العرش.

وحيا عدنان الملك شاكرا له تكرمه ، وأخرجه السياف فراس ، وفتح الحاجب باقي القاعة على الأمراء الجالسين في الديوان ، وظل الحاضرون ينتظرون كلام الملك وبعد حين قال: سيعقد الوزير معاهدات مع ملوك المدن البحرية الساحلية لمحاربة لصوص البحر حتى يعود الأمان للسفن والتجارة .. فعلى أمير البحر القائد شهران زيادة جنوده وبحارته .. وألا يتهاون مع أولئك اللصوص .. فالتجارة عصب المدن وحياتها.

فقال الوزير: لقد اتفقت مع أمير البحر أن يزيد عدد جنوده إلى الضعف إلى ألفين فارس وبحار

وأن يتعاون مع بحارة المدن الأخرى الأربعة ؛ لتحقيق الأمان لجميع السفن المتنقلة بين المدن الأربعة .. وأمرت يا مولاي الملك أيضاً قائد الجيش البري بزيادة جنده للحفاظ على سواحل المدينة البرية .. والقبض على كل من يلجأ للساحل من أصحاب القوارب والتأكد من سبب وجودهم في تلك المناطق .. وتثبيت أسماءهم في سجل خاص فهؤلاء اللصوص يصنعون أماكن وموانئ خاصة بهم للاختفاء والاختباء .

قال الملك : عظيم ! عمل كبير منك أيها الوزير .. وهل تسمح خزينة المدينة بتغطية نفقات هؤلاء الجند ؟!

قال الوزير : اتفقت مع وفود المدن لتغطية هذه النفقات الجديدة إلى زيادة نسبة الضريبة المأخوذة من السفن مقابل حماية أموالهم وأرواحهم حتى نتخلص من القرصنة .. واتفقنا أيها الملك على أن ندفع لأي سفينة تتعرض للقرصنة في مناطق حمايتنا تعويضا .. للسفينة المنهوبة أو المحروقة حتى لا يتهاون بحارة وجند أي مدينة في حماية أي سفينة.

قال الملك مشجعا : أنت وزير حكيم وفطن !

تـمت قـصة مـديـنـة نـجـوان

قصص وحكايات الفوارس			
١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جفر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بربار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك

مدينة نجوان



غدروا بابن عمهم ابن الملك وقتلوه

واختفى القاتل حفص

ولا احد اهتم بنداء الأميرة هند بالزواج منها

مقابل راس حفص فلجأت لسايس الخيل بكر عمر

ليعمل على قتل حفص

ثم تبين انه أخ غير شقيق لها

ابن جارية حامل وهبها الملك لشاعر

ولم يعلم بحملها اعترف به الملك ابنا له

فتحمل عبء الحكم بعد اغتيال الملكة هند

فاصبح ملك نجوان

[illegible]

